المختصر

من أخبار فاطمة بنت سيد البشر

صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

إبراهيم بن عبد الله المديهش

دار الآل والصحب الوقفية


المختصر
من أخبار فاطمة بنت سيد البشر
صلى الله عليه وآله وسلم

ح دار الآل والصحب الوقفية

فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النشر

المديهش، إبراهيم بن عبدالله بن عبدالرحمن

المختصر من أخبار فاطمة بنت سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وسلم

/ إبراهيم بن عبدالله بن عبدالرحمن المديهش

الرياض، ط. الأولى ١٤٤١هـ

١٩٢ ص؛ ١٧/ ٢٤ سم

ردمك: ٦ ـ ١ ـ ٩١٤٥٥ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ـ فاطمة الزهراء، فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، ت ١١هـ

٢ـ آل البيت أ. العنوان

ديوي ٨، ٢٣٩ ١٠٣٨٧/ ١٤٤١

رقم الإيداع: ١٠٣٨٧/ ١٤٤١

ردمك: ٦ ـ ١ ـ ٩١٤٥٥ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ

دار الآل والصحب الوقفية

في: الرياض/ المدينة/ الأحساء

المركز الرئيسي: الرياض : هاتف ٩٢٠٠٠٨٦٣٧

الموقع الشبكي : www.alaalwalsahb.com

جوال ٠٠٩٦٦٥٠٥٤٦٣٧١١

المختصر

من أخبار فاطمة بنت سيد البشر

صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

إبراهيم بن عبدالله المديهش

دار الآل والصحب الوقفية


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْن، وَالصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأصحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيْم

أما بعد

فإنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَنَّ عليَّ بتأليف مَعْلَمةٍ = مَوسوعَةٍ شامِلَةٍ عن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أسميتُها: « فاطمة بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سيرتها، فضائلها، مسندها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ دراسة حديثية تاريخية موضوعية ـ »[1] ـ **ولِلَّهِ الحمْدُ والفَضْلُ والمِنَّةُ** ـ ، حاولتُ الإحاطة بكل ما يتعلق بها : حديثيًا، وعقديًا، ونَسَبيًا، وتاريخيًا، وجغرافيًا، وأدبيًا، ومعارف أخرى، قصدتُ أن تكون مرجعًا مُغنيًا للباحثين، وليست للقراءة التامة من أولها إلى آخرها .

الموسوعة في سبعة مجلدات، تَضمَّنَتْ (٧٥٥) حديثاً بدراسَةٍ عِلميَّة مفصَّلة .

جاءت في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وملحق، وخاتمة، وفهارس.

استغرق المجلد الأول كاملاً المقدمةَ والتمهيدَ .

بيَّنتُ في التمهيد ما يتعلق بآل البيت، والكتبِ المؤلفة فيهم، وفي فاطمة، مع ترجمتها، وموقف بعض الفِرَق منها، وبعضِ المسائل المنهجية

---

(١) صدرت عن « دار الآل والصحب الوقفية» في الرياض، في شهر ذي الحجة (١٤٤٠هـ) .

في تناول أسانيد التاريخ.

تضَمَّنَ **البابُ الأول**: الأحاديثَ المروية في سيرة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في خمسة فصول، تحت كل فصل عدة مباحث في حالها مع والدها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع زوجها، وابنيها الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وما يتعلق بوفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتضَمَّنَ **البابُ الثاني**: الأحاديثَ المروية في فضائلها، في خمسة فصول، تحت كل فصل عدة مباحث، في منزلتها عند أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنزلة أبيها عندها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومنزلتها عند الشيخين أبي بكر و عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومنزلتها في العلم والعبادة وما فُضِّلَت به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتضَمَّنَ **البابُ الثالث**: مسندَها، أي الأحاديث التي روتْها عن أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع دراستها وتخريجها بتوسُّع.

وفي الخاتمة: أهم نتائج الموسوعة، ثم أوردتُ فهارس متنوعة تفصيلية.

أعتبر هذه الموسوعة = المعلَمة أوسعَ كتابٍ أُلِّف عن امرأة، فإني لا أعلمُ قبله كتاباً كبيراً في سيرة امرأة أكبر من مجلدين حقِيقَين ـ ولِلَّـهِ الحمدُ والفضلُ والمِنَّة ـ.

وقد أعلنتُ في خاتمة الموسوعة عن هذا المختصر، الذي أقتصرُ فيه على المقبول، دون الإحالات والنقول، وربما أذكر يسيرَاً من المردود مع

بيانه، فهو مُختصرٌ لا يُغني طلبةَ العلم والباحثين عن الموسوعة، وفيه زياداتٌ عليها يسيرة، وتصحيحات.

هذا وقد انتظم المختصر في المعالم التالية :

١. عقيدة أهل السنة والجماعة بآل البيت، والعناية بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٢. عناية أهل السنة والجماعة بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، ومحبة المسلمين لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولطائف في موضع ترجمتها وأبواب مناقبها ومسندها.

٣. اسمُها عَلَيْهَا السَّلَامُ وسبب التسمية .

٤. نَسبُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

٥. كُنيَتُها عَلَيْهَا السَّلَامُ .

٦. لقَبُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

٧. العائلة : شَيءٌ من فضائلهم، وترتيبُ فاطمةَ بين إخوانها وأخواتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٨. مَولِدُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

٩. نَشأَتُها عَلَيْهَا السَّلَامُ .

١٠. هِجرَتُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

١١. زَواجُها، وحالُها مع زوجِها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

١٢. أولادُها عَلَيْهَا السَّلَامُ .

١٣. عقِبُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

١٤. بَيتُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

١٥. صفَتُها وشمائلُها عَلَيْهَا السَّلَامُ .

١٦. حالُها مع والِدِها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِرُّها به، بِرُّها بوالدتها، نفقةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، وقيامُه عليها بالعدل، ومحبَّتُه لها واحتفاؤه بها، الزيارة بينهما، وغيرتُه عليها، وحِفظُها لسرِّهِ، وتعليمُه إياها .

١٧. مِن مناقبِها وخَصائِصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

١٨. عِلْمُها، ومُسنَدُها عَلَيْهَا السَّلَامُ .

١٩. علاقتها بأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحثُّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياها على حُبِّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم .

٢٠. مَوقِفُها من طلبِ أبي سفيان الشفاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

٢١. مَوقِفُها مع أبي لبابة، وهل حلَّتْ عِقَالَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؟

٢٢. طلبُها الميراثَ من أبي بكر، وعلاقتها بالشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم .

٢٣. هل لها مَوقفٌ من بَيعَةِ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؟

٢٤. حُزنُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على وفاة أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢٥. وَصيَّتُها عَلَيْهَا السَّلَامُ .

٢٦. وفَاتُها: متى تُوفِّيَت ؟ ومَن غسَّلها وصَلَّى عليها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟

٢٧. قبرُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

٢٨. منظومتان لترجمة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ .

أسألُ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يُبارِك بالمَوسُوعةِ الأصل وهذا المختصر، وأن يَنفعْ بهما الإسلامَ والمُسلِمين .

كتبه :

إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن المديهش

مدينة الرياض

(٣ / رمضان ٩ / ١٤٤١هـ)

للتواصل: ibrahim.almdehesh@gmail.com

[١] عقيدة أهل السنة و الجماعة بآل البيت، و العناية بهم .

آلُ بيْتِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هُمْ: مَن تحرُم عليهم الصدقةُ، وهُمْ على الصحيح: أزواجُه، وذرِّيتُه، وأقاربُه المسلمون من بني هاشم بن عبد مناف. وقيل: وبَنِي المطلب بن عبد مناف أيضاً.

وقد دلَّ على فَضْلِهِم: الكتابُ، والسُّنَّةُ، وإجماعُ سلَفِ الأمَّةِ.

قال اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أُمَّهاتِ المؤمنين:

﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب، آية ٣١، ٣٤).

فالآية في أمهات المؤمنين، ويدخل ضمن آية التطهير أيضاً ذرية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأنه تلاها في حديث الكساء الآتي.

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: خرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداةً، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل، من شَعْرٍ أسود، فجاء الحسَنُ بنُ علي فأدخلَه، ثم جاءَ الحُسَين

فدخل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلَها، ثم جاء عليٌّ فأدخلَهُ، ثمَّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

أخرجه: مسلم.

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً فينا خطيباً، بماء يُدعى «خُمَّاً» بين مكة والمدينة، فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ووعظ وذَكَّر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أن يأتي رسولُ ربي فأُجِيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلَين: أولهما كتابُ الله فيه الهُدَى والنور، فخذوا بكتاب اللَّهِ، واستمسكوا به»، فحثَّ على كتَابِ اللَّهِ ورغَّبَ فيه، ثم قال: «وأهلُ بَيتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهلِ بَيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهل بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهل بيتي» .... الحديث.

أخرجه: مسلم.

قوله: «أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهل بيتي» أي: (اذكُرُوا اللهَ، اذكُرُوا خَوفَهُ وانتقَامَه إنْ أضعَتُم حقَّ آل البيت، واذكُروا رحمتَه وثوابَه إنْ قُمْتُمْ في حقِّهِم). قاله ابن عثيمين، وقال أيضاً: (اعرفوا لهم حقَّهم، ولا تظلموهم، ولا تعتدوا عليهم، هذا من باب التوكيد، وإلا فكُلُّ إنسانٍ مُؤمِنٍ له حقٌّ على أخيه، لا يحقُّ له أن يعتدِيَ عليه، ولا أنْ يَظلِمَهُ؛ لكنْ لآلِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ زَائِدٌ على حُقُوقِ غَيرِهِمْ مِن المسلمين).

قال صديق خان : (فالمراد بالتذكير فيهم: حِفظُ رُتبَتهم في الإسلام، وتعظيمُهم، وحبُّهم في الدِّين، وصَونُ عظيمِ عِزِّهم في الأمة، وتقدِيمُهم على غيرِهم في : المجلس، والكلامِ، والخطابِ، والمشيِ، والقعودِ، والقيامِ؛ وبذلُ الأموال لهم، ونُصرَتُهم في مقابل أعدائهم، والتمسُّكُ بهم إنْ كانوا أهلَ العِلْمِ والتقوى).

فالحديث بمجموع رواياته (تضمَّن الحثَّ على المودَّةِ لهم، والإحسانِ إليهم، والمحافظةِ بهم، واحترامِهم، وإكرامِهم، وتأدِيَةِ حُقُوقِهِم الواجبة والمستحبَّة، فإنهم مِن ذُرِّيَّةٍ طَاهِرَةٍ، مِن أشرَفِ مَن وُجِد على وَجْهِ الأرضِ، فَخْراً وحَسَباً ونَسَباً، ولا سِيَّما إذا كانُوا متَّبِعِينَ للسُّنَّة النبويَّةِ الصَحِيحَةِ الواضِحَةِ الجَلِيَّة، كما كَانَ عليهِ سَلَفُهُم كالعبَّاسِ وبَنِيه، وعَليٍّ وآلِ بَيتِه وذَوِيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . ذكره السخاوي وبنحوه عند ابن كثير، زاد السخاوي: وكذا يَتضمَنُ تَقدِيمَ المتأهِّلِ مِنهُم لِلْوِلايَاتِ عَلى غَيرِهِ....).

هذا، وقَد اتَّبَعَ سلَفُ الأمة بدءاً من أبي بكر وعمر وعثمان وبقية الصحب الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وصيةَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعنايةِ والرِّعايةِ لآلِ البيتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فهذا خليفةُ رسُولِ اللهِ، الصِّدِّيقُ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: « ارْقُبُوا محمَّدَاً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهلِ بَيْتِهِ ».

أي: احفظُوه فيهم، فلا تُؤذُوهُمْ، ولا تُسِيئوا إليهِم.

ويقول أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي...».

ثم خليفةُ خليفةِ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الفاروقُ عُمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ اعتنى بآل البيت عنايةً فائقة، من ذلك: أنه بدأ بهم لـمَّا وضعَ الديوانَ للعطاء؛ مَحبَّةً لهم، واحتراماً وتقديراً ومعرفةً بمكانتهم، وامتثالاً لأمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برعايتهم.

وهكذا السلَفُ الصالحُ جيلاً بعد جيل، إلى زماننا هذا ـ ولله الحمدُ والـمِنَّةُ على الهدايةِ والسُّنَّةِ ـ.

قال الشيخ: ابن سِعدي: (فمَحبَّةُ أهلِ بيتِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبَةٌ من وُجُوهٍ، منها:

أولًا: لإسلامهم، وفضلهم وسوابقهم.

ومنها: لما تميَّزوا به من قُرْبِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتصالهم بنسبه.

ومنها: لما حثَّ عليه ورَغَّب فيه.

ولما في ذلك من علامة محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...).

قال محمد الحضرمي «بَحرَق»: (وإذا كانَتْ أبناءُ الرَّجُلِ الرئيس، بَلْ وعشيرَتُه، بَلْ وغِلْمَانُهُ وأتبَاعُهُ، بَلْ وقَبيلَتُهُ، بَلْ وأهلُ بَلَدِهِ، بَلْ وأهْلُ قُطْرِه، بَلْ وأهلُ عصرِهِ، قَدْ يَسُودُون بسيادتِه، ويشرُفونَ بِشَرَفِ رئاسَتِهِ، ويفتَخِرُونَ عَلى مَن سِوَاهُم بفَضلِهِ، ويعلُونَ بِعُلُوِّ مَنصِبِهِ ونُبْلِه، فهَل أحَدٌ أجَلُّ قَدرَاً، وأعظمُ مَرتَبَةً وفَخْرَاً ممن ينْتَسِبُ أهلُ البيتِ إليه ؟!

إلى أن قال: وقد كانت قلوبُ السلَفِ الأخيارِ، والعلماءِ الأحبَارِ، مجبولةً على حُبِّهِم واحتِرامِهِم، ومَعرِفَةِ ما يجِبُ لهم طبعًا، فمِصْدَاقُ ذلك تعظيمُ وحُبُّ كلِّ مَن يُنسَبُ إليه بقُربةٍ أو قَرَابَةٍ أو صُحْبَةٍ، أو اتِّبَاعِ سُنَّةٍ؛ إذْ كُلُّ ما يُنسَبُ إلى المحبوبِ مَحبُوبٌ).

إنَّ أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ لَيرَونَ الحقَّ لآل البيت: حَقَّ الإيمان، والصُّحْبَةِ، وحَقَّ القَرَابَة والسَّبْقِ لِلْخَيرِ، ويُنزِلُونَهُم مَنزِلَتَهُم الحقيقية الشَّرعِيَّة.

يُحبُّونَهُمْ جميعًا، ويُوقِّرُونَهُم كلَّهم دُونَ إفرَاطٍ ولَا تَفرِيطٍ، فَهُمْ في هذا البابِ: « آل البيت » وَسَطٌ بين الفِرَقِ الضَّالة، بين طرفَين ضالَّين: غَالِينَ وجَافِينَ، بين مُفْرِطِينَ و مُفَرِّطِينَ:

١. الخوارج، والنواصب الذين كفَّروا أو فسَّقوا آلَ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وناصبُوهم العَدَاء.

٢. الإمامية الذين غَلَوا في محبَّتِهِم لآلِ البيت، حتى اعتقَدُوا فيهم عِلْمَهُمْ الغَيْبَ! وعِصمَتَهُم من الخطأ! وسُؤالَهم مِن دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وغَيْرَ ذلِكَ كَثِيرٌ.

من عناية أهل السنة والجماعة بآل البيت:

تنوَّعت عناية المحدِّثين بمرويات وفضائل آل البيت، فمنهم مَن:

١. أفردَ فيهم كتابًا مستقلاً ، في آل البيت عامة، أو في أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو في ذريته، أو في بني هاشم.

٢. ومنهم من ضمَّن كتابَه أبوابًا خاصة فيهم، أورد فيها مروياتهم ـ مسندهم ـ أو المرويات فيهم .

فالخلاصة في هذا الموضوع :

١. آل البيت هم: أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولاده، وبنو هاشم.

٢. الصحابة منهم، له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، والصحبة، وآل البيت.

٣. أهل السنة والجماعة يُوجِبُون محبة آل البيت ، ويرون أنها من محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولَّونهم جميعًا، بخلاف الإمامية الذين يتوَلَّون بعض آل البيت، ويُكفِّرون ويُفسِّقُون آخرين، وكذا النواصب.

٤. يرون موالاتِهم ونصرتَهم، ونَشْرَ فضائلِهم، والدفاعَ عنهم، والذبَّ عن أعراضهم.

٥. يتبرأُ أهلُ السنة والجماعة من الجافين عن آل البيت، وهم : النواصب، والغالين وهم: الإمامية .

٦. يعتقد أهل السنة والجماعة أنَّ لآل البيت فضائل وخصائص وكرامة وشرفًا وسيادة، وليسوا بمعصومين كما تدَّعِيهِ الإمامية .

٧. يعرفون لهم الفضائل والحقوق الواجبة من خُمُس الخُمُس من الفيء والغنيمة، والصلاة عليهم تبعًا للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨. يتولون أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويترضون عنهن جميعًا ، فهُنَّ أزواجه في الدنيا والآخرة، ومن آلِ بيتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصحيح.

٩. لا يُغالون في آل البيت ، فلا يرفعونهم فوق قَدْرِهم المشروع، ولا يَدَّعون لهم العصمةَ، فهم بَشَرٌ يُصِيبُونَ ويُخطِئون، وفيهم البرُّ والفاجر، ويتولَّونَ كلاً منهم بحسب إيمانه وصلاحه واتِّباعه لسُنَّةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يبخسونهم ما آتاهم اللَّهُ من فَضلِهِ.

١٠. تفضيلُ آلِ البيت تفضيلُ جملة، لا يعني فَضلُهم في جميع الأحوال، وعلى كُلِّ الأشخاص، فقد يُوجَد مِن غَيرِهم مَن هو أفضلُ منهم لاعتبَارَاتٍ أخرَى من الصلاح والتقوى والنفعِ للأمة.

• العناية بآل البيت :

يسرُّني ما يسرُّها: أورد أبو الفرج الأصبهاني في « مقاتل الطالبيين» قصة، ونقلها عنه: السخاويُّ في « استجلاب ارتقاء الغُرَف بحُبِّ أقرباء الرسول وذوي الشرَف » أنَّ الخليفةَ عُمَر بنَ عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ دخل عليه

عبدُاللَّهِ بنُ حَسَن بنِ حسَن بنِ علي بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو حَدَثُ السِّنِّ، فأكرَمَه، وأقبل عليه، وقضى حوائجه... فلامَه قومُه؛ لعنايته بحَدَثٍ، فقال عمر بن عبدالعزيز: إنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما فاطمةُ بَضْعَة مِنِّي، يسرُّني ما يَسرُّها**».

وأنا أعلَمُ أنَّ فاطمةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لو كانت حَيَّةً، لَسَرَّها ما فَعلْتُ بابنِها.



[٢] عناية أهل السنة والجماعة بفاطمة، و محبة المسلمين لها، و لطائف في موضع ترجمتها وأبواب مناقبها ومسندها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

زيادة على الأبواب المفردة في فاطمة التي أوردها أهل السنة والجماعة في مؤلفاتهم: العقدية، والحديثية، والتاريخية، وبعضها أبواب واسعة كما عند: ابن سعد، وابن ناصر الدين، والصالحي ، فقد أفرد فيها عدد من العلماء كتاباً مستقلاً، كابن شاهين، والحاكم، والسيوطي « الثغور الباسمة»، والأكواري « إتحاف السائل»، وعبدالستار الشيخ، وغيرهم، ثم كتابي الموسوعة عنها في (٧) مجلدات، ومختصرها الكتاب الذي بين يديك ـ متَّعَك اللَّهُ به، وبهما ـ .

أهلُ السُّنَّة والجمَاعة يُحِبُّون فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبناتِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآله، ولمْ أجدْ أحَداً طعَنَ أو تكلَّم أو أعرضَ عن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِن أهل السنة والجماعة خاصة، ومن جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام عامة... كل ما وجدته: طعن بعض اليهود والنصارى من المستشرقين في فاطمة ، وذمهم لها، وقد قُوبلوا بالإنكار من بعض إخوانهم المستشرقين ...

كذلك ممن طعن فيها بطريق غير مباشر: مَن غلا فيها غُلوّاً مفرطاً، كما فَعَلَتْ الإسماعيليةُ، والإماميةُ ، والنُّصَيريةُ، والصوفيةُ...

هـذا ، وإن مـن عظـيم محبـة وإجـلال أهـل السـنة والجماعـة لفاطمـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن بدأوا بِذِكْر أحاديثها ـ مسندها ـ أو أبواب فضائلها قبل غيرها من النساء عامة أو مشارِكاتها في الاسم، وبدأوا بترجمتها أيضـًا قبل غيرها، خـالفوا الترتيـب الـذي يسـيرون عليـه؛ حُبًّـا في فاطمـة وبنـات النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ، كما في مسند الإمام أحمد، وفضائل الصحابة له، والبخاري، والترمذي، والطبراني، والآجري، وأبي نعيم، وغيرهم.

[٣] اسمها و سبب التسمية .

اسـمها فاطمـة، مشـتَقٌّ مـن (الفَطْـمِ) وهـو: القطْـع، فطمـتُ الصـبي، وفطَمَتْهُ أمُّه تَفطِمه: إذا فصَلَتْه عن رضاعها. وغُلامٌ فَطِيم ومفطوم. وفطمتُ فلانـًا عن عادته إذا قطعتها.

والاسـم موجـود قبلهـا، تسـمَّى بـه عـدد كثيـر، مـن ذلـك جـدَّةُ النبـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبيه: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

وقد ذكر العلماء الفواطم اللاتي ولَدْنَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُـنَّ : قرشية، وقيسيتان، ويمانيتان.

وأما ما رُوي أنهـا سُـمِّيَت بـذلك؛ لأن اللّـهَ فطمَهـا ومحبيهـا عـن النـار، فكذبٌ لا يصح .

[٤] نسبها.

فاطمة بنتُ رسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد بن عبدِالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قُصَي بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان.

إلى هنا متفق عليه عند العلماء، وما بعد عدنان إلى نبي الله وخليله: إبراهيم، ومنه إلى آدم ــ أيضًا ــ مختلف فيه كثيراً، وقد روي عن عدد من الصحابة والتابعين تخطئة من يرفع النسب بعد عدنان، أبًا عن جَدٍّ.

مع الاتفاق على أنَّ عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

قال الذهبي: (والذي عليه أئمة هذا الشأن أنه: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ابن آزر ــ واسمه تارح ــ بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم أبي البشر عَلَيْهِ السَّلَامُ . قال ابن عبدالبر: وهذا الذي اعتمده محمد بن إسحاق في « السيرة» ، وقد اختلف أصحابُ ابنِ إسحاق عليه في بعض الأسماء).

[٥] كنيتها .

أمُّ أبِيها ، وأمُّ الحسن، وأمُّ الحسنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُم .

والعجيب: أن ابنَها الكبير: الحسن، ولم أجد مَن ذكر كُنيتَها: « أم الحسن»، إلا ابن حجر في « التقريب».

والأمرُ في باب الكنى عند العرب واسِعٌ جدًّا .

[٦] لقبها .

ذُكر لها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أربعة ألقاب: السيِّدة [(١)]، والزَّهْرَاء، والبَتُوْل ، والصِّدِّيقَة.

الأول : السَيِّدة، وهذا أصح لقب لها، مأخوذ من حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها سيدة نساء هذه الأمة، سيدة نساء أهل الجنة.

الثاني : الزهراء، الأزهر: الأبيض المستنير، والزهر والزهرة: البياض النيِّر، وهو أحسن الألوان، والزهراء: المرأة المشرقة الوجه، والبيضاء المستنيرة المُشْرَبة بحمرة، ويقال: الليالي الزهر: أي الليالي البيض.

وجاء في صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم. وابنته فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من أقرب الناس شبهًا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبناءً عليه فإن معنى الزهراء في لقب فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أي: المشرقة الوجه، البيضاء المستنيرة، المشربة بحمرة ـ والله أعلم ـ .

---

(١) فاتني ذكر هذا اللقب في الموسوعة ــ ط. الأولى ــ، ضمن ألقابها.

وما قيل بأنها لُقِّبَتْ بالزهراء؛ لأنها لم ترَ دمًا في حيض ولا نفاس، فغير صحيح، ولا يثبت أنها لم ترَ ذلك.

وأول من وقفت عليه ذكر هذا اللقب: ابنُ حبان (ت ٣٥٤ هـ) ، ثم بعده عددٌ غفيرٌ من العلماء، وفي هذا القرن الرابع ذُكر في كتب الإمامية ، ولا يُعلَم أيُّهم أوَّل.

وما دام أن أختيها: رقية، وأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ابنَتَي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُصِفَتا بالنُّورَين، في تلقيبِ الخليفة الراشد: عثمان بن عفان بـ« ذي النورين» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو وَصْفٌ قديم مَشهُورٌ مجمع عليه؛ لأجلِ زواجِه بابنتَي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدةً بعد الأخرى؛ فإن وصف فاطمة بالزهراء مثلهما، فالنور والزهر بمعنى واحد.

لذلك لا أرى بأسًا بتلقيبها بالزهراء ـ واللَّهُ أعلَم ـ .

وأحسنُ منه وأصحُّ وأفضلُ: اللقب الثابت « السيدة » سيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة.

وأحسن من ذلك كلِّه قول:

فاطمةُ بنتُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ لِنِسْبَتِهَا الشَّرِيفَةِ، وللصَّلَاةِ عَلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلِه.

الثالث : البَتول؛ لانقطاعها عن نساء زمانها في الفَضل والدِّين والنَّسَب والحسَبِ. وأولُ مَن وجدتُه وصفَها بذلك: أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ)، وقد نص ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) على أنه من محدثات الشيعة.

هـذا، وقـد كَثُـرَ في كتابـات المعاصـرين وصْـفُ فاطمـةَ بِـ : البتـول، والتبتل، والانقطاع للعبادة، والعزلة عن الناس.

أقول: لا شكَّ في عبادتها وصلاحها، لكن لـم أجـد في الآثـار شـيئًا يـدلُّ علـى هـذا الانقطـاع والعزلـة، وهـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في غِنـى كَبيـرٍ عـن الألقـاب والأوصاف المحدَثة التي لا أصل لها، ولم أجد معنى صحيحًا يصدق عليه هذا اللقب؛ لذلك لا أرى صحتَه ولا استعماله، وإن ذكـره عـدد مـن العلمـاء ـ والله أعلم ـ.

الرابع : الصِّدِّيقَة، لا يثبت لقبًا، وهو من محدثات الإمامية، ولا شك أنها صدِّيقة سيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

هـذا، وتُوصـف بـالكبرى: **فاطمـة الكبـرى** ؛ تمييـزاً لهـا عـن فاطمـة الصغرى، والموصوفة بالصغرى ثنتان:

١ـ بنت زوجها: فاطمة بنت علي بن أبي طالب.

٢ـ حفيدة الكبرى: فاطمة بنت الحسين بن علي.

فبنتُ عليٍّ تُوصَف بالصغرى في الـتراجم، وبنـتُ الحسـين يَـردُ وصـفُها بالصغرى في الأسانيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

[٧] العائلة [١] ، شيء من فضائلهم، وترتيب فاطمة بين إخوانها و أخواتها .

والدها: أفضلُ الخلق، سيدُ البشَر محمدُ بنُ عبدِالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والدتُها: من سيِّدَات نساءِ العالَمِين: أمُّ المؤمنين، أمُّ القاسم: خديجةُ بنتُ خويلد بنِ أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان.

تلتقي بنسبها مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبيه الخامس: قُصَي. وهو أبوها الرابع.

خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أمُّ أولادِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلِّهم إلا إبراهيم.

أولادُها منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: القاسمُ، ثم رقيةُ، ثم زينبُ، ثم أمُّ كلثوم، ثم فاطمةُ، ثم عبدُاللَّه ـ ويلقَّبُ بِـ : الطيِّب، والطاهر، على

---

(١) لم أقل « الأسرة» ؛ لأنها رُتبةٌ نسَبِية مع: « الفصيلة »، ولا تُطلق لغةً ولا نسَباً ولا عُرفاً عند السابقين على البيت الواحد، وإنما جاء إطلاقها على بيت السُّكنى بعد فترة الاستعمار الصليبي ، بترجمة من جهلة المترجمين، وقد كتبتُ في ذلك بحثاً منشوراً بعنوان: « ما معنى الأسرة ؟ وهل تُطلق على الرجل مع زوجه وأولاده ؟ » .

الصحيح ــ . (١)

* للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مارية القبطية: إبراهيم، مات صغيراً، وهو آخرُ أولاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ و عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

أمُّ المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أوَّل مَن آمنَ به، وصدَّقَه قبلَ كُلِّ أحَدٍ، وثبَّتَتْ جَأشَهُ، ومضَتْ به إلى ابنِ عمِّها ورَقَة بنِ نَوفَل.

قال عِزُّ الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) : (اختلف العلماء في أول مَن أسلم، مع الاتِّفَاق على أنَّ خديجةَ أوَّلُ خَلْقِ اللَّـهِ إسلامـًا).

وذكر ابنُ حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) أن خديجة أول من صدَّقَت ببعثته مطلقـًا.

وهي ممَّنْ كَمُل من النساء، كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَاقلةً، جَلِيلةً، ديِّنة، مَصُونةً، كريمةً، مِن أهل الجنة، وكان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثني عليها، ويُفضِّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمِها، بحيث إنَّ عائشة كانت تقول: ما غِرت من امرأة ما غِرت من خديجة، من كثرة ذِكْرِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها.

ومن كرامتِها عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يتزوَّجْ امرأةً قبلها، وجاءَهُ منها عِدةُ أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرَّى إلى أن قضَتْ نَحْبَها، فوَجَدَ لِفقدها، فإنها كانت نِعم القَرين.

---

(١) وهو قَولُ أكثرِ أهلِ النَّسَب، والقاسمُ وعبدُالله ماتا صغارَاً .

ومناقبُها جَمَّةٌ، منها:

ما في «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشَّرَ خديجةَ ببيت في الجنة من قصَب، لا صخَب فيه ولا نصَب.

وفي «الصحيحين» من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**خَيرُ نسائها مريمُ بنت عمران، وخَيرُ نسائها خديجة بنت خويلد**».

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتاني جبريل، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة أتتك ومعها إناءٌ فيه طعام وشراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربِّها السَّلامَ، ومِنِّي...**» الحديث.

وكانت مُوسِرَةً مُتَمَوِّلَةً؛ عَرَضَتْ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قبل النبوة ـ أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرجَ مع مولاها ميسرة.

بنَى بها ولَه خمسٌ وعشرونَ سنةً. وكانَتْ أسنَّ منه بخمسَ عشرةَ سنة.

قال ابنُ إسحاق: تتابعَتْ على رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصائب بهلاك أبي طالب، وخديجة في عام واحد. وكانت خديجةُ وزيرةَ صِدق.

وعن عائشة: أن خديجةَ توفِّيَتْ قبل أن تُفرَض الصلاة.

وقال قتادة وعروة: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ـ وهو الراجح ـ.

وقيل: بأربع، وقيل: بخمس سنين.

وقال الواقديُّ: تُوفِّيت لعشر خَلَونَ مِن رمضان، وهي بنتُ خمس وستين سنة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا .

إخوانها و أخواتها و ترتيبها بينهم:

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ : (لا خلاف أنَّ جميعَ أولادِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من خديجة بنت خويلد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية).

وقال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: (فَصلٌ في أولادِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ .

أولهم: القاسم، وبه كان يُكنَى، مات طفلاً، وقيل: عاش إلى أن ركب الدابة وسار على النجيبة.

ثم زينب، وقيل: هي أَسَنُّ من القاسم، ثم رقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

وقد قيل في كل واحدة منهن: إنها أسنُّ من أختيها.

وقد ذُكر عن ابن عباس: أن رقية أَسَنُّ الثلاث، وأم كلثوم أصغرهن.

ثم وُلِدَ له عبدُالله، وهل ولد بعد النبوة أو قبلها ؟ فيه اختلاف، وصحَّح بعضهم أنه ولد بعد النبوة.

وهل هو الطيب والطاهر، أو هما غيره ؟ على قولين. والصحيحُ أنهما لَقَبان له، واللَّهُ أعلَمُ.

وهؤلاء كلُّهم من خديجة، ولم يُولد له من زوجة غيرها.

ثم وُلِدَ لهُ إبراهيم بالمدينة من سُرِّيَّتِهِ « مَارِيَة القبطية»، سنة ثمانٍ من

الهجرة، وبشَّرَهُ بِه أبو رافع مولاه، فوهب له عبداً، ومات طفلاً قبل الفطام، واختُلِف هل صلَّى عليه أم لا ؟ على قولين.

وكلُّ أولادِهِ تُوفي قبله إلا فاطمة، فإنها تأخرت بعده بستة أشهر، فَرفَعَ اللَّهُ لها بصبرها واحتسابها من الدرجات ما فَضَلَتْ به نساءَ العالمين.

وفاطمةُ أفضلُ بناتِه على الإطلاق، وقيل: إنها أفضلُ نساء العالمين، وقيل: بل أمها خديجة، وقيل: بل عائشة، وقيل: بل بالوقف في ذلك) .

قلت: زينب أكبر أخواتها شِبه اتفاق بين العلماء ، والراجح في ترتيب فاطمة بين أخواتها :

زينب، **ثُمَّ** رقية، **ثُمَّ** أم كلثوم، **ثُمَّ** فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ .

زوجها ، وأولادها : سيأتي ذكرهم .

[٨] مولدها .

وُلِدَتْ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل مَبعث النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس سنين، وعُمرُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس وثلاثون سنة. هذا هو الراجح .

وقيل: ولدت قبل المبعث بسنة أو سنتين.

وأمَّا يذكره بعض الصوفية من تحديد يومٍ وشَهْرٍ ولادتها، فكَذِب.

مكان مولدها: في « مكة» ، في بيت النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وكذا ما يذكره بعضُ الكتاب في القرون المتأخِّرة من آثار البيت،

فكذب لا يخفى على عاقل، فضلاً عن عاقل طالبِ عِلْم.

[٩] نشأتها.

يكفي لمعرفة نشأتها معرفةً كامِلةً، أنْ تعلَمَ أنها نشأتْ في بيت والدِها رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا يكفي لِيَعلمَ المرءُ عِلماً يقيناً لا شكَّ فيه مبلغَ العلم والهدى والعبادة والتربية والسكينة والخيرات المتعددة التي أكرم اللـه بها بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء قبل زواجهن في « مكة»، أو بعده في « المدينة النبوية ».

فإذا أضفتَ إلى ذلك أن أُمَّهُنَّ السيدةَ الكاملةَ العاقلةَ الرزينة المؤمنة: أمَّ المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان هذا خيراً على خير عظيم .

فإذا أضفت إلى ذلك ـ أيضاً ـ أن فاطمة من بين أخواتها كانت ملازمة للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، شَهدَتْ مراحِلَ الدعوة كلَّها، وبعضَ غزواته، وكان بيتُها بعد زواجها مجاوراً لبيتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الوحيدة التي بقيت بعده، عَلِمْتَ أنها امتلأت حِكمةً وإيماناً وعِلماً وتَربية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

قال الأديب: عباس العقاد: (لم تفتح عينَيها على غير بوادر ومقدمات الصلوات والتسبيحات والتألُّه من أبوين كريمين...

إذا وُصِفت نشأةُ الزهراء بكلمة واحدة تُغني عن كلمات، فالجِدُّ هي تلك الكلمة الواحدة...

نشأتْ في حَنانٍ جادٍّ رَصِين، ونكادُ نقول: بَلْ حَنْانٍ صَابِرٍ حَزينٍ...نَشْأَةُ جِدٍّ واعتكاف، ونَشْأةُ وقار واكتفاء.

لقد أوشكَت الزهراءُ أنْ تَنْشأَ نشأةَ الطفل الوحيد في دار أبويها؛ لأنها لم تجد معها غيرَ أُختٍ واحدةٍ ليست من سِنِّها، وغيرَ أخيها من أمها هند بنِ أبي هالة...

وأوشَكَتْ عُزْلَةُ الطفلة الوحيدة أن تكبُرَ معها؛ لأنها لم تكُنْ تسمَعُ عن ذُكَرَيات إخوتها الكبار إلا ما يُحزِن ويُشغِل: ماتوا صغاراً، وخلَّفوا في نفوس الأبوين لَوْعَةً كَامِنَةً، وصَبْرَاً مَريرَاً.... مع زواج الأختين الكبيرتين...

لقد لَقِيَتْ مِن والدِها حَنَانَـًا كَبيراً، والحَنَانُ على الصُّغْرَى مِن الذرِّيةِ بعد فِراقِ الذُّرِّيَةِ كلِّها بالموت أو بالرحلة، حَنَانٌ - لَعَمْرُ الحقِّ - صابرٌ حَزِيْنٌ.

ولقد نَعِمَت الزهراءُ بهذا الحنَانِ مِن قَلْبَيْنِ كَبِيْرَيْنِ، حَنَانٌ أحرَى بِهِ أنْ يُعَلِّمَ الوقَارَ، ولا يُعلِّمَ الخِفَّةَ والمَرَحَ والانْطِلاق).[1]

ووصفت الأديبة: عائشة بنت الشاطئ نشأتَها بأنها: هجَرَتْ في صِباها مَلاعِب أترَابها ولِدَاتِها، وأدركَتْ عِظَمَ مَسؤوليةِ والدِها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أنْ بعثَهُ اللَّهُ رحمَةً للعالَمين.

هجَرَتْ ملاعبَ الصِّبا، وانتبذَتْ مِن صَواحِبِهَا مَكَانـًا قريبـًا من أبيها في

(١) « فاطمة الزهراء » للعقاد، بتصرف يسير.

قَلْبِ الميدان.

قال الأستاذ : عبدالستار الشيخ في وصف طفولتها : (وتَرَعْرَعَت الطفلةُ في أحضان النبوة وظِلال الوحي الذي يتنزَّل على أبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غدوةً وعشيًّا بآيات القرآن الحكيم، وتفتَّحَ قلبُها وعقلُها على معاني آياته الكريمة مشفوعًا بالهَدْي النبوي الرفيع الذي تعيشه غضًّا طريًّا في كلِّ ساعةٍ ومَوقفٍ وحادثَةٍ.

فكانت مَلَكَاتُها ومَدارِكُهَا تَشبُّ وتَنمُو بما يفوق جِسْمَها الضئيل، وسِنَّها الصغيرة ؛ وهذا ما يُفسِّر لنا مواقِفَها الباهِرة، وجُرْأَتَها النادرة، ووعيَها الوقَّاد، مما يشهدُ به كثيرٌ من أحداث الدعوة في مكة والمدينة، والذي ترجمَتْ به السيدةُ الزهراءُ ثمرات تلك النشأة الفريدة في سِنيِّ طفولتها المبارَكة).

وقد رأت فاطمةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الزهدَ والإقلالَ من الدنيا في حياةِ والدِها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ الهِجرة وبعدَها، قال الأستاذ: عبدالستار الشيخ: (عاشَتْ في كنف أبيها دهرَاً لم ترَهُ يَتبسَّط من الدنيا، وأموالُ خديجة بين يديه.... وفاطمة وعلي ــ لأنه عاش مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ رأيَا الزهدَ والتقشُّفَ من النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يحبُّ الزهدَ لآل بيته، وقد قال: « **اللهم اجعَلْ رِزْقَ آلِ محمَّد قُوتًا** ») .

[١٠] هجرتها .

عُمرها عند هِجْرَتِها نحو ثمان عشرة سنة، بناءً على الراجح أنَّ مَولدَها قبل النبوة بخمس سنين.

هاجرت مع أختها أم كلثوم، وسودة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع زيد بن حارثة ، وآل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم يختلِف في ذلك المؤرِّخون .

وكان هجرتهم بعد مَقدَمِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ المدينة بنحو سبعة أشهر .

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سُئلتْ: متى بَنَى بكِ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقالت: لما هاجرَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، خلَّفَنَا وخَلَّفَ بَنَاتِهِ.

فلما قَدِمَ المدينةَ بعَثَ إلينا زيدَ بنَ حارثة، وبعثَ معَهُ أبا رافعٍ مَولاهُ، وأعطاهُمَا بَعِيرَيْنِ وخَمسمَئةِ درهم، أخذَهَا رسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبي بكر، يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهْر، وبعثَ أبو بكر معهما عبدَالله بن أُرَيْقِط الدِّيلي بِبَعِيرين أو ثلاثة، وكتبَ إلى عبدِالله بنِ أبي بَكر يأمرُهُ أنْ يحمِلَ أهلَه: أُمِّي أمَّ رُومَان، وأنَا، وأُخْتِي أسماء ـ امرأةَ الزبير ـ؛ فخَرجُوا مُصْطَحِبِينَ.

فلما انْتَهوا إلى قُدَيْد اشتَرى زيدُ بنُ حَارثة بتلك الخمسمئة ثلاثةَ أَبعِرَة، ثمَّ رحَلُوا مِن مكة جميعـًا.

وصَادَفُوا طلحةَ بنَ عُبَيدِالله يُريدُ الهجرَةَ بآلِ أبي بكر، فخرَجْنَا جميعاً.

وخرَجَ زيدُ بنُ حارِثةَ، وأبُو رافعٍ، بِفَاطِمَةَ وأُمِّ كُلثُومِ، وسَودَةَ بنتِ زَمعَةَ، وحمَلَ زيدٌ أمَّ أيمنَ، وأسامةَ بنَ زيد.

وخرَجَ عبدُاللَّه بنُ أبي بكر بأمِّ رُومَان وأُختَيْهِ، وخرَجَ طلحةُ بنُ عُبَيدِاللَّه، واصطَحَبْنَا جَميعًا.

حتَّى إذا كُنَّا بِالبيضِ مِن تَمَن[(١)]، نَفَر بَعِيري ــ وأنا في مَحَفَّةٍ مَعِي فيها أُمِّي ــ ، فجَعَلَتْ أُمِّي تقُولُ: وَابِنْتَاه، واعَرُوسَاه، حتَّى أُدْرِكَ بَعِيرُنا وقَد هَبَطَ مِن لَفْتٍ[(٢)]، فسَلَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

ثم إنَّا قدِمنا المدينةَ فنزلتُ مع عيالِ أبي بكر، ونَزَلَ آلُ رسولِ اللَّهِ.

---

(١) تَمَن: أرض مستوية بيضاء للبلادية، شرق الخريبة، إذا خرجتَ من « هرشى » شمالاً تجد « تمنًا » على ثلاثة أكيال. ويسارك يظلِّلُكَ « العشي » جبال طوال « الطوال البيض ». « معجم معالم الحجاز » د. عاتق البلادي.

(٢) قال د. البلادي: تُعرَفُ اليوم باسم « الفَيْت » كانت تصل بين قُدَيد وخُلَيْص، تأتي خليصـًا من الشمال، وعليها طريق القوافل، ثم سدَّتها الرمال في أول العهد السعودي، فتحول الطريق خُلَيص غربـًا عنها، ولم تعد تُطرق).

من « مكة » إلى « خليص » (١٣٠ كلم)، ومن « مكة » إلى « قديد » (١٥٧ كلم)، ومن « مكة » إلى « الفَيْت » (١٤٠ كلم تقريباً).

ورَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ يَبنِي المسجدَ وأبيَاتًا [١] حولَ المسجد، فأنزلَ فيها أهلَهُ، ومَكثْنَا أيامًا في مَنزِلِ أبي بكر، ثم قال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ، ما يمنَعُكَ من أنْ تَبنِيَ بِأهلِكَ ؟

قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **الصداق** » .

فأعطاهُ أبو بكر الصداق اثنتَي عشرةَ أُوقِيَّةً ونَشًّا [٢]؛ فبعثَ بها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا، وبَنَى بِي رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَيتِي هذا الذي أنا فيه، وهُو الذي تُوفِّي فيهِ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجعلَ رسولُ اللَّهِ لِنفسه بابًا في المسجد وِجَاهَ بابِ عائشة.

قالت: وبنَى رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَوْدَةَ في أحَدِ تِلكَ البُيُوتِ التي إلى جنبي. فكان رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكونُ عندَهَا).

أخرجه: ابن سعد، والحاكم ، وغيرهما .

وأما زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فحبَسَها زوجُها أبو العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم هاجرَتْ بَعْدُ في السنة الثانية للهجرة، فنَخَسَها الحُويرثُ بن نُقَيذ، و هبَّارُ بن الأسود.

وقد وَهِمَ ابنُ هشام في « السيرة» فجعل النَّخْسَ علَى فاطمة وأمِّ كلثوم،

---

(١) الصواب أنه لم يَبْنِ إلا بيتًا واحداً لِسَودَة، ثم بنَى فيها بعدُ بيتاً لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. رجَّح ذلك الذهبيُّ، وتعقَّبَ أهلَ السِّيَر.

(٢) أي خَمسمئة (٥٠٠) درهم.

ولم يتعقبه شارحه السهيلي.

وجعلَ الذي خرجَ بهما العباس بن عبدالمطلب.

وبيَّن هذا الوهمَ التقيُّ الفاسي.

ومن ذلك يُعلَم خطأُ ما أوردَه عَددٌ من المترجمين لفاطمة من المعاصرين، الذين ذكروا هذه القضية كما ذكرها ابنُ هشام.

[١١] زواجها ، وحالها مع زوجها .

زوجها : هو ابنُ عَمِّ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عليُّ بنُ أبي طالب بنِ عبدالمطلب بن هاشم القُرَشِيِّ، أفضلُ هذه الأمَّةِ بعد أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وهو رابع الخلفاء الراشدين.

قُتل شهيدَاً عام (٤٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أمُّه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، وهي بنتُ عمِّ أبي طالب، كانت من المهاجرات، توفيت في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة.

قال الحافظ ابن حجَر: (عليٌّ أوَّلُ الناسِ إسلاماً في قولِ كَثيرٍ مِن أهل العلم. وُلِد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فرُبِّيَ في حَجْر النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يُفارِقْهُ، وشهِد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: « **ألا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى** ».

ومناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد: لم يُنقل لأَحَدٍ من الصحابة ما نُقل لعليٍّ.

وقال غيرُه: وكان سببُ ذلك: بُغض بني أمية له، فكان كلُّ من كان عنده عِلْمٌ من شيءٍ مِن مناقبِهِ مِن الصحابة يبُثُّهُ، وكلما أرادوا إخماده وهدَّدوا من حدَّث بمناقبه لا يزداد إلا انتشاراً.

وقد وَلَّدَ له الرافضةُ مناقبَ مَوضوعَة، هو غَنيٌّ عنها، وتتبَّع النسائيُّ ما خُصَّ به من دون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فجمَعَ من ذلك شيئًا كثيراً بأسانيد أكثرُها جِيَاد.

روى عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً .

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، وكان أحدَ الشورى الذين نصَّ عليهم عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن خصائص عليٍّ: قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر: « **لأدفعنَّ الرَّاية غداً إلى رجُلٍ يحبُّ اللَّهَ ورسُولَه، ويحبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُه، يفتحُ اللهُ على يديه**».

فلما أصبحَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غدوا كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أينَ عليُّ بنَ أبي طالب**»؟ فقالوا: هو يشتكي عينيه، فأُتِيَ به فبصَقَ في عينَيه، فدعا له فبرأَ، فأعطاهُ الرَّايةَ».) .

وهو مِن الذين بشَّرَهم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة.

ففاطمةُ، وأمُّها، وزوجُها، وولدَاها: الحسنُ والحسينُ، كلُّهم مِن

المبشَّـرِينَ بالجنة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ .

لَـمْ يتيسَّـرْ الـزواج لفاطمـة في مكـة؛ لِشـدة أذى المشـركين للنبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمؤمنين، وهِجـرة بعضـهم للحبشـة، وحِصـار بني هاشـم في الشِّعْب، ثم مـوتِ خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ولمـا هـاجرَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تقـدَّم لخِطْبَتِهـا أبـو بكـر وعمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فاعتـذر لهمـا النبـيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنهـا صغيرة أي بالنسبة لهما.

عـن بُرَيْـدَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قـال: خطـبَ أبـو بكـر، وعمـرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فاطمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ، فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : « **إنهـا صَـغِيرةٌ** ». فخَطبَهَـا عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، فَزوَّجَهَا منه. أخرجه: النسائي.

وكان عُمْرُ أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين خطب فاطمة: خمسين سـنة تقريبـًا، لأنه تُوفي سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة.

وكان عُمْرُ عُمَرَ بنِ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين خطب فاطمـة: أربعـين سـنة تقريبـًا، لأنه تُوفي سنة ثلاث وعشـرين، وله ثلاث وستون سنة.

وقد بوَّب النسائي حديث بريـدة ـ السـابق ـ بقولـه: بـاب تـزوُّج المـرأة مثلها في السن.

ثم خطبها عليٌّ، فاستأذنَها النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقبِلَتْ، ثم زوَّجها.

وكان عُمْرُ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين خطب فاطمة: ثلاثـًا وعشـرين سنة؛ لأنه توفي سنة أربعين، وله ثلاثٌ وستون سنة.

وقيل: إحدى وعشرين سنةً، وخمسة أشهر.

فبَينهما قرابة خمس سنوات ـ على القول الراجح ـ.

وكان صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستشير بناته عند الخِطبة

عن عائشة قالت: كان رسول اللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أنْ يُزَوِّجَ شيئًا مِنْ بنَاتِه، جلَسَ إلى خِدْرِها فقال: « إنَّ فلانًا يذكر فلانة»، يُسمِّيها ويُسَمِّي الرجلَ الذي يَذكُرُها، فإنْ هي سكَتَتْ، زوَّجَها، وإنْ كَرِهَتْ نَقَرَتْ السِّتْرَ، فإذَا نَقَرَتْهُ، لَمْ يُزَوِّجْهَا. أخرجه: أحمد.

وفي الصحيحين: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سألتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الجارية ينكحها أهلها، أتُستَأمر أم لا ؟ فقال رَسولُ اللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نعم، تُستأمر»، فقالت عائشة: فقلت له: فإنها تستحي، فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فذلك إذنُها، إذا هي سكتَتْ».

هذا لفظُ مسلم. وعند البخاري بنحوه، وفيه: « رضاها صَمتها»، وفي لفظ له: « إذنها صماتها»، وفي لفظ له: « سكاتها إذنها ».

وكانت الخِطبة في السنة الأولى من الهجرة، والبناء بها بعد غزوة بدر وقبل أُحُد، أي في آخر السنة الثانية أو أوائل السنة الثالثة.

وقد نبَّه عَددٌ من الحفاظ كابن حبان، وابن ناصر الدين الدمشقي، وابن كَثِير إلى كَثْرةِ المرويات المكذوبة في زواج فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أردتُ أنْ أخطُبَ إلى رسولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنتَه، فقلتُ: ما لي مِن شيءٍ، فكيف؟! ثم ذكرتُ صِلَتَهُ وعَائدَتَهُ، فخطبتُهَا إليه، فقال: « هل لكَ مِن شَيءٍ » ؟ قلتُ: لا. قال: « فأينَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ التي أعطيتُكَ يومَ كذا وكذا » ؟ قال: هي عندي. قال: « فأعطِنِيْهَا » . قال: فأعطيتُها إياه. أخرجه: أحمد.

كان مهرُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أربعمئة وثمانين درهمًا، قوَّتها الشرائية في ذلك الزمن (٤٨) شاةً.

وهو مَهْرٌ يَسِيرٌ، لا كلَفَةَ فيه، ولا مباهاة، وهكذا كان مهر النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأزواجه، وقبولُه مهرَ بناتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ .

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، أنه قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كم كان صداقُ رسولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونَشًّا.

قالت: أتدري ما النشُّ؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمئة درهم[١]، صدَاقُ رسولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأزواجِه. أخرجه: مسلم .

ورُوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: « ألا لَا تغلوا صدق النساء، ألا لا تغلوا صدق النساء، قال: فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند اللَّـهِ، كان أولاكم بها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أصدقَ رسولُ اللَّـهِ

---

(١) (٥٠٠) درهم، قيمتها السوقية آنذاك تعادل (٥٠) شاة.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأةً من نسائه، ولا أُصدِقَتْ امرأةٌ من **بناته** أكثر من ثنتي عشرة أوقية ». أخرجه أحمد، وأصحاب السنن.

عن زيد بن أسلم قال: « ما ساق رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى امرأةٍ من نسائه، ولا سِيقَ إليه لشيء **من بناته** أكثر من اثنتي عشرة أوقية، فذلك أربع مئة وثمانون درهماً ». رواه عبدالرزاق مرسلاً.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : (والقصد في الصداق أحب إلينا، وأستحب أن لا يُزاد في المهر على ما أصدقَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نساءَه وبناتِه، وذلك خمسمئة درهم؛ طلباً للبركة في موافقة كل أمر فعلَه رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ويُروى عن عِلْبَاء اليشكري أن علياً تزوج فاطمة، فباع بعيراً له بثمانين وأربعمئة درهم، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اجعلوا ثلثين في الطيب، وثُلثاً في الثياب». أخرجه: ابن سعد، وهو مرسل.

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: « جهَّز رسولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في خَمِيْلٍ، وقِرْبَةٍ، وَوِسَادَةِ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيْفُ الإِذْخِرِ» .

أخرجه: النسائي ، وأحمد.

ومجموع المرويات في جَهَازِها دلَّتْ على أنه كان :

١. **خميلاً**، وهو كِساء فيه لِين.

٢. **وقِربةً**، وفي رواية: سِقاء.

٣. وَوِسادةً من جِلْد حشْوُها لِيفُ الإذْخِر.

٤. ورَحْيَيْن، تثنية رحى، وهي: التي يُطحن بها .

٥. وجرَّتين وهما إناءان من فَخار .

٦. وسريراً مُزيَّناً بحِبال من خوص أو ليف.

٧. وإناءً من جلد.

٨. وقطعةً من أقط.

وفي حديث عِلْبَاء اليَشْكُري :

٩. أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُجعل ثلثا المهر في الطيب، والثلث الباقي في الثياب.

وهذ الجهاز في غايةِ اليُسْر والسُّهولة ، وعدَمِ التكلُّفِ، وفيه من دلالات الزهد، والتقَلُّلِ من الدنيا في بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله، ما يقف عنده المؤمنُ معتبراً.

ودلَّ حديثُ عِلباء على العناية في الجهاز بالطيب والإكثار منه؛ لِمَا لَهُ من الأهمية والأثر الحسن في الحياة الزوجية.

وللنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنايةٌ بالطيب في عامة أحواله، فكان لا يرد الطيب، وقال: « حُبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجُعل قُرَّةُ عيني في الصلاة ». أخرجه: النسائي، وأحمد .

ويُروى عند البناء بها أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجَّ في ماء، ثم صبَّ على

فاطمة وعلي رضي الله عنهما، ودعا لهما بقوله: « **اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نَسلهما** ».

بَنَى بها عليٌّ رضي الله عنه في منزلِه وكان بعيداً عن منزل النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حوَّلها صلى الله عليه وسلم إلى بيتٍ مجاور له من الجهة الشمالية، وكان لحارثة بن النعمان رضي الله عنه.

أَوْلَمَ عليٌّ رضي الله عنه في زواجِه، وساعدَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بآصُعٍ من تمر وشعير، وكذا ساعدَه الصحابةُ رضي الله عنهم، فقدَّمَ سعدُ بنُ معاذ كَبشًا، وقدَّم الأنصارُ آصُعًا من ذُرَةٍ.

روي في حديث بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **يا عليُّ، إنَّه لابُدَّ للعروسِ من وليمةٍ** ».

فقال سعدٌ: عندي كَبْشٌ، وجمع له رَهطٌ من الأنصار آصُعًا من ذُرَةٍ، فلمَّا كان ليلةَ البِنَاء، قال: « **لا تُحدِثْ شيئًا حتى تلقاني** »، قال: فدعا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بإناء، فتوضأ فيه، ثم أفرغه على علي، ثم قال: « **اللَّهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما** ».

أخرجه: النسائي، وابن سعد.

الصحابة رضي الله عنهم، بل كلُّ مُسلِمٍ يغبطُ أصهارَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لِقُربِهم من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم خاصةً عليًّا لزواجه بأفضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم، وبقاءِ نَسْلِ النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم منها.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كنَّا نقول في زمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رسُولُ اللَّهِ خيرُ الناس، ثم أبو بكر، ثم عمر ، ولقد أُوتِيَ ابنُ أبي طالب ثلاثَ خصال، لأَنْ تكُونَ لي واحِدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ مِن حُمُرِ النَّعَمْ : زوَّجَهُ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ابنَتَهُ، وولَدَتْ لَهُ، وَسَدَّ الأبوابَ إلا بَابَهُ في المسجد، وأعطَاهُ الرايةَ يومَ خَيْبَرَ). أخرجه: أحمد، وابن أبي شيبة.

ولا شك بأنَّ عثمان وعليًّا مغتبطان بمصاهرتهما النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كذلك أبو بكر وعمر ، لكن :

لم يَثبُتْ شَيءٌ من المرويات أنَّ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاخَر بزوجه أمام الناس، كما أن عثمان بن عفان زوج ابنتَي رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفاخر بذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

خدمتُها لِزَوجِها، وصبرُها على ضيق العيش معه .

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: « عَلَى مَكَانِكُمَا »، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: « أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ــ أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا ــ فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ،

وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ».

أخرجه: البخاري، ومسلم .

وعند الطبراني، وأبي نعيم زيادة: أن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كانت حاملاً، فكانت إذا خبزت أصاب حرق التنور بطنَها، فأتت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسأله خادمًا، فقال: « **لا أعطيك خادمًا وأدع أهل الصُّفَّة تطوى بطونهم من الجوع**.... الحديث.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أتت فاطمةُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسأله خادمًا، فقال لها: « **قولي: اللَّهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللَّهم أنتَ الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنَّا الدين، وأغننا من الفقر** ». أخرجه: مسلم .

كانت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا خير زوج، صبرت وصابرت على شظف العيش، وخِدمَتِها لزوجها وصبيانها، وفي فترات لم يكن لها خادم يخدمها، ولم يُقدِّمها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حاجة المسلمين حينما جاءه السبي، وأرشدَها وزوجَها إلى خَيرِ مُعِين لهما، وهو الذكر عند النوم من التسبيح والتحميد والتكبير.

عن سهل بن سعدٍ، أن عليَّ بن أبي طالب دَخَلَ على فاطمةَ، وحسنٌ وحسينٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبكيان، فقال: ما يُبْكيهما ؟

قالت: الجوعُ.

فخرج عليٌّ، فوجد ديناراً بالسُّوق، فجاء إلى فاطمة فأخبرها، فقالت: اذهبْ إلى فلان اليهوديِّ فخذ لنا دقيقًا، فجاء اليهوديَّ فاشترى به دقيقًا، فقال اليهوديُّ: أنْتَ خَتَنُ هذا الذي يَزعُمُ أنه رسولُ اللَّهِ ؟ قال: نعم، قال: فخذ دينارَك ولكَ الدقيقُ.

فخرج عليٌّ حتى جاء به فاطمةَ، فأخبرها، فقَالت: اذهب إلى فلانٍ الجزار فخذ لنا بدرهم لحمًا، فذهب فرَهَن الدينارَ بدرهم لحمٍ، فجاء به، فعَجَنَتْ، ونَصَبَتْ، وخبَزَت، وأرسلَتْ إلى أبيها، فجاءهم، فقالت: يا رسول اللَّهِ، أذكر لك، فإن رأيتَه لنا حلالاً أكلناه وأكلتَ معنا، مِن شأنه كذا وكذا، فقال: « **كُلُوا باسْمِ اللَّهِ** » فأكلوا .

فبينا هم مكانهم إذا غلامٌ يَنشُد اللَّهَ والإسلامَ الدينار، فأمر رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدُعي له، فسأله، فقال: سَقَطَ مني في السوق، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **يا عليُّ، اذهبْ إلى الجزَّار فقل له: إنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لك: أرْسِلْ إليَّ بالدينار، ودِرهَمُكَ عليَّ** ».

فأرسل به، فدفعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه.

أخرجه: أبو داوود.

قالـت الأديبـة: عائشـة بنـت الشـاطئ عـن حيـاة فاطمـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (حياتُهـا الزوجيـة تختلـف عـن حيـاة أخواتهـا؛ لأنَّ أزواجهـن أصـحاب ثَـراءٍ مادي بخلاف عليٍّ، فهو فقير، أبوه على شـرَف نسبِه ووجاهته كـان قليـل المــال كثيــر العيــال... وعلــيٌّ أســلم قــديماً وهــو صــبي، ولازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يشتغل بالتجارة ولا الزراعة، لذا خطب ولـيس عنـده إلا دِرْعه).

وقد أرشد النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنتَه فاطمة إلى الذكر عند النوم، عوضـاً عن إجابتها بخادم، مع علمِه وبيانِه أنَّ أهل الصفة أحوج من فاطمة وزوجهـا، قال العقاد: (ولم يكُن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضنُّ على فاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمـا يملـك من الأنفال، فكان يخصُّها بالقسم الأوفى من حصَّته كلَّما فرَّق رزقـاً بـين ذويـه وزوجاته، ولكنها كانت فاقةً تعمُّهم جميعـاً حين لا يجدُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـا يفرقـه بيـنهم ... مثَـلُ النبـيِّ محمَّـدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلُـو علـى إشـفاق المشفِقين، ومَن كان في قُدرته أن ينعمَ من الدنيا بمـا يقطع قلـوب الحاسـدين حسـدَاً، ثـم يَرضَــى لنفسِـه وآلِـه منزلـة الإشـفاق، فـذلك هـو الإعظـامُ غايـةَ الإعظام...).

وقوعُ المغاضبةِ بينهما أحياناً:

يقـع بـين علـي وفاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مـا يقـع بـين الـزوجين، وكـان النَّبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قريبـاً منهما، زيارةً، وتربية، ونُصحاً و إصلاحـًا .

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيتَ فاطمة فلمْ يَجدْ عليًّا في البيت، فقال: « **أينَ ابنُ عمِّك** » ؟ قالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضَبَنِي، فخرج، فلم يَقِلْ عندي، فقال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإنسان: « **انظر أين هو** » ؟ فجاء فقال: يا رسولَ اللهِ ، هو في المسجد رَاقِدٌ، فجاء رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مضطجع، قد سقَطَ رِدَاؤه عن شِقِّه، وأصابه تُرابٌ، فجعل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسَحُه عنه، ويقول: « **قُمْ أبا تُراب، قُمْ أبا تُراب** ». أخرجه: البخاري، ومسلم .

عن جابر بن عبد اللهِ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديث حجة الوداع . . .
وفيه: وقَدِم عليٌّ من اليَمَن بِبُدْنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدَ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممَّن حَلَّ، ولَبِسَتْ ثِيَاباً صَبِيغَاً، واكتحَلَتْ، فأنكرَ ذلك عليها، فقالَت: إنَّ أبي أمرَني بهذا.

قال: فكان عليٌّ يقول بالعِراق: فذهبتُ إلى رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محرِّشًا على فاطمة للذي صَنعَتْ، مُستَفْتِيًا لرسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ذكَرَتْ عنْهُ، فأخبرتُه أني أنكَرتُ ذلك عليها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **صَدَقَتْ صَدَقَتْ**.... الحديث. أخرجه: مسلم .

عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كان بين علي وفاطمة كلامٌ، فدَخَل رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فألقى له مِثَالاً فاضطَجَعَ عليه، فجاءت فاطمةُ فاضطجعتْ من جانب، وجاءَ عليٌّ فاضطجع من جانب، فأخذ رسول اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدِ عليٍّ فوضَعَهَا على سُرَّتِه، وأخذَ بيد فاطمةَ فوضَعَها على سُرَّتِهِ، ولمْ يَزَلْ حتَّى أصلَحَ بينهما، ثم خَرَج، قال: فقيل له: دخلْتَ وَأنتَ عَلَى حَالٍ، وخَرجْتَ ونحنُ نَرى البِشْرَ في وجهِكَ، فقال: « **وما يَمْنَعُنِي وقَدْ أَصْلَحْتُ بين أَحَبِّ اثنَيْنِ إليَّ** ». أخرجه ابن سعد، وهو مرسل.

لا تخلو الحياةُ الزوجية في أيِّ بيتٍ من وجود خلافات، حتى في بيت النبوة أفضلِ البيوت، فيه أفضلُ البشَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أفضلِ النساء أمهاتِ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، يقع منهن ما يقع للبشر من الغَيرة والمخاصمة والزيادة في طلبات النفقة، وغيرها.

وقد نُقل شَيءٌ مما حَدَث؛ تشريعًا للأمَّةِ، وبيانًا لأفضلِ الهَدْي، واتِّسَاءً بخير الناسِ لأهلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مُكْثُ عَليٍّ مع فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قليلٌ نِسْبِيًّا، فالمدة قريبة من ثمانِ سنوات فقط ...

وهذه السنوات كلُّها - عدا ستة أشهر - كانت في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي مَقربة منه، فكان بيتُها مجاورًا لبيتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينالُه بركةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زياراتِه المتكررة لهما، إضافةً إلى محبة عليٍّ فاطمةَ، ورؤيتِه محبةَ وإجلالَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشديدةَ لابنتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يُضاف إلى ذلك عِلمُهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالحقُوق الزوجية، مع الوصاية النبوية بالإحسان والرفق بالمرأة ...

ما سبق وغيرُه، يدلنا على قلة الخصومات بين علي وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإذا وُجِدَتْ ــ وهو أمْرٌ طبَعَي ــ فإنها محاطَة بالسِّتر، والدِّيانة، والعَقْل، والمروءة ؛ فلا ضَرْب، ولا تشهير، ولا هجراً سيئًا، ولا إخراجًا للمرأة من المنزل، ولا غيرَه .

قال عباس العقاد : (ولَمْ تَخْلُ هذه الحياةُ ـ وما خلَتْ حياةُ آدَميٍّ قط ـ من ساعاتِ خلاف، وساعاتِ شِكَاية، فربَّما شكَتْ فاطمةُ، وربما شَكا عليٌّ، وربما أخذَتْ فاطمةُ على قرينها بعضَ الشدَّةِ ــ وما هي بشِدَّةٍ ــ، فما كان رَجُلٌ مثلَ عَليٍّ لِيُعَنِّفَ على بنتِ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يعلَمُ مكانَها من قَلْبِ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنَّمَا اعْتِزَازُ فَاطِمَةَ بِنَفْسِهَا وَإِباؤُهَا أَنْ تُهْمَلَ حَيْثُ كَانَتْ، وإنَّمَا الحَنَانُ الذِي تَعَوَّدَتْهُ مِنْ أَبِيْهَا ، فَلا تَسْتَرِيْحُ إلَى مَا دُوْنَهُ ، وَكُلُّ حَنَانٍ بَعْدَ حَنَانِ ذَلِكَ القَلْبِ الكَبِيْرِ ، فَكَأَنَّهُ قَسْوَةٌ أَوْ قَرِيْبٌ مِنَ القَسْوَةِ عِنْدَ مَنْ يَتَفَقَّدُهُ ، فَلا يَجِدُ نَظِيْرَهُ فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ ...).

هذا، وقد كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستحي أنْ يسألَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض شؤونه الخاصة لمكانته من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْتُ رجُلاً مَذَّاءً، وكُنْتُ أستحي أنْ أسألَ النبيَّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمكان ابنته، فأمرتُ المقدادَ بن الأسود فسألَه فقال: « يَغسِلُ ذكرَه، ويتوضأ ».

وفي لفظ: مِن أجل فاطمة.

[١٢] أولادها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

الحَسن، والحُسين، ومحسِّن، وأم كلثوم، وزينب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

وقد وهم الليث بن سعد ومن تبعه بذكر ابنة لفاطمة اسمها: رقية.

وَلَدَتْ فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

الحَسنَ: في النصف من شهر رمضان، (سنة ٣ هـ) .

ووَلَدَتْ الحُسَين: لخمس ليالٍ خلون من شعبان، (سنة ٤ هـ) .

وأمَّا أمُّ كُلثوم: فلَمْ يُحَدَّدْ بالضبط تاريخُ ولادتها، قال ابن عبدالبر: وُلِدَتْ قبل وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال الذهبي: (وُلِدَتْ في حدود سنة ست من الهجرة، ورأَتْ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم تَروِ عنهُ شيئًا).

وهي التي تزوَّجَها عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وولَدَتْ له: زيدًا و رُقَيَّة ــ وليس لهما عقِب ــ .

وتزوجها بعدَه: ابنُ عمِّهَا: عون بنُ جعفر بنِ أبي طالب، فمات عنها.

ثم تزوجها بعده أخوه: محمد، فمات عنها.

ثم تزوجها بعده أخوه: عبدُالله بن جعفر، فماتت عنده، ولم تَلِد لأحَدٍ من الثلاثة شيئًا.

وأمّا زَيْنَب: فكذلك لم يُحَدَّد تاريخ ولادتها ، قال ابن الأثير: (وُلِدَتْ في حَيَاتِهِ، ولم تَلِدْ فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدَ وفاتِهِ شيئًا).

وقد تزوَّجَها ابنُ عمِّها: عبدُالله بن جعفر بنِ أبي طالب بن عبد المطلب، فولدَتْ لهُ:

عَلِيًّا، وعَونًا الأكبر، وعبَّاسًا، ومحمَّدًا، وأمَّ كلثوم.

وأما مُحَسِّن : فقد قال يونس بن بُكير، سمعت محمد بن إسحاق يقول: فولَدَتْ فاطمةُ لعليٍّ: حسَنًا وحُسَينًا ومُحَسِّنًا، فذَهَبَ مُحسِّنٌ صغيراً، وولدت له أم كلثوم وزينب.

وذكر ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) المحسِّن من أولاد علي، قال: ولا عقِب له ، مات صغيراً جداً، إثر ولادته.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحَسن والحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

١. فضائلُهما، وفيها رسالة جامعية للشيخ د. عثمان الخميس، ط. دار الآل والصَّحْب الوقفية في الرياض.

٢. مُسنَدُهُما ، وفيها رسالة جامعية مطبوعة للدكتورة: منى الآنسي ـ قيد الطبع ـ في دار الآل والصَّحْب الوقفية في الرياض.

من فضائلِهما : أنهما كما في الحديث: « **سيِّدا شباب أهل الجنة** » .

عقَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحسن والحُسين، وكان يحبُّهما ويُلاطفهما.

وكانت فاطمة تلاعب صبيانها، من ذلك ما رُوِي أنها كَانَتْ تَنْقُزُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَتَقُولُ:

« بِأَبِي شَبَهُ النَّبِيِّ * لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ » .

لم يصح أنَّها طلَبَتْ من أبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يورِّثَ ابنَيْها الحسنَ والحُسَين.

والأحاديث التي فيها أن فاطمة لم تر دمًا في حيض ولا نفاس، أحاديثُ مكذوبة .

[١٣] عقب فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

الهَاشميُّون الموجُودُون الآن، هم: الطَّالبيُّون، والعبَّاسيُّون، و الحَارثيُّون، وهُم:

١- آل علي، وجعفر، وعقيل، أبناء أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم .

٢- آل العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم .

٣- آل الحارث بن عبدالمطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم .

انحصَر عَقِبُ فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في ذرية الحَسَن، والحُسَين، وزينب من عبدِالله بن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم .

وهم الآن عددٌ غفير، في: الحجاز، و نجد، وجازان، واليمن، والشام، ومصر، وشمال أفريقيا، وغيرها .

لهم كتُبٌ، وسِجِلاتٌ، وضُبُوطٌ، ومُشَجَّرَاتٌ، وعِنَايةٌ دَقِيقَةٌ في ضَبْطِ أنسَابِهم، فمِن الصعوبةِ جداً دخولُ أفرَادٍ فيهم أو خروجُ أفراد منهم؛ لِدِقَّةِ الضبطِ، وامتدادِ التدوِينِ، وعدَمِ انقطَاعِهِ .

ذرية زينب = الزينبيون، مِن الأشراف، مِن آل هاشم = آل البيت بإجماع العلماء، لكنهم لا ينتسبون إلى النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل أولاد الحسن والحسين؛ لأنهم أولاد بنت البنت.

وللسيوطي رسالةٌ جميلةٌ فيها جُمْلةُ مسائل عن ذرية زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

تَمييزُ ذريَّةِ فاطمةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بأمرَيْن ظاهرَين:

١ـ اللقب. ٢ـ اللباس

١ـ اللقب:

• لقَبُ الأشراف = والشريف، والسيِّد : معناهما، وتاريخهما، وإطلاقاتهما، والفرق بينهما، وهل يُطلَق الشرَفُ على غير ذريَّة السِّبْطَين، وحكم التلقُّب بالشريف، وهل يدخل في الأوقاف على الأشراف منَ ينتسب إلى غير السبطين من بني هاشم ؟

كان يُطلق الأشراف على آل البيت جميعاً، سواء كان حسَنياً، أو حُسَينِيّاً، أو زينبيّاً ، أو علويّاً، أو جعفرِيّاً، أو عَقِيليّاً، أو عبّاسيّاً، أو حارثيّاً.

ثم قصَرَهُ الحكامُ العُبَيديون الباطِنِيون ـ المنتسبون زُوراً إلى الفاطميين ـ [١] على ذرية الحسن والحسين فقط لا غير .

وذكر ابنُ تيمية، وابنُ حجر : أنه لُقِّبَ بِالشريف : كلُّ عباسيٍّ في بغداد، وكلُّ علَويٍّ في مصر، والشام. [٢]

إطلاق لقب الشريف والسيد على آل البيت ، مقروناً باسمهم، لم يكن معروفاً في القرون المفضَّلة الأولى، لا تجد ذلك في كتب الأسانيد، والتراجم.

وقد بدأ ظهور لقبِ السيِّدِ والشَّريفِ مع الاسم الهاشمي، من القرن الرابع ـ على قِلَّة ـ ، ثم كَثُر في القرن الخامس الهجري، وما بعده.

ويَذكُر د. حسان الباشا أنه وجدَ نقْشاً فيه لقبُ الشريف، عام ٢٩٥هـ .

قلتُ: لكن يبدو أنَّ انتشارَه في القرن الرابع وما بعده؛ وللعبيديين ـ فيما يبدو ـ سبب في ظهوره والتزامه.

---

(١) حُكْمُ الدولة العُبيدية الفاطمية في مصر، والشام ، من سنة (٢٩٨هـ) إلى سنة (٥٦٨هـ) .

(٢) هذا التفريق من تأثير السياسة في البلدين: « الدولة العباسية» في بغداد، والدولة العبيدية في « مصر والشام ».

وكذا يُطلق وصف: السيدة والشريفة ـ على قِلَّة فيما يبدو ـ وقد ذُكِرا في القرن السابع وما بعده.

ولا فرق بين لقب الشريف والسيِّد، فيُطلقان عُرفاً على ذرية الحسن، وذرية الحسين، وقد فرَّق بعض المتأخرين في إطلاق هذين اللقبين:

فجعلُوا لقبَ «الشريف» على ذرية الحسن، ولَقَبَ «السيِّد» على ذرية الحسين.(١)

ذكر ذلك الشرواني الشافعي (ت ١٣٠١هـ)، والنبهاني (ت ١٣٥٠هـ) عن أهل الحجاز فقط. وقد أنكر العلماء هذا التفريق، وهو تفريق مُحْدَث، بل هو باطل لا يصح إن كان القصدُ منه أن يكون كلُّ لقبٍ محدوداً فيما أُطلِقَ عليه لا يتجاوزه، فلا يطلق الشريف على ذرية الحسين، ولا السيد على ذرية الحسن.

فالعلماء السابقون من قرون متطاولة يطلقون اللفظين على ذرية الاثنين الحسن والحسين دون تفريق، تجد ذلك في كتب التراجم وغيرها، وكذلك الصكوك والوصايا المحفوظة لدى الهاشميين.

فلا فرق بين اللقبين، ولكلِّ بلَدٍ اصطلاحٌ وعُرْفٌ، ولا مُشاحَّةَ في

---

(١) على فرض صحة التفريق، كان الأولى أن يكون لقب السيد على ذرية الحسن؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحسن: «إن ابني هذا سيِّد، ولعل الله أنْ يُصْلِحَ بهِ بَين فئتين عظيمتين من المسلمين». أخرجه: البخاري في «صحيحه» رقم (٢٧٠٤)، و(٣٦٢٩)، و(٣٧٤٦)، و(٧١٠٩).

الاصطلاح، إنما يُنكر على مَن خصَّصَ لقب الشريف على ذرية الحسن، ومنع إطلاقه على ذرية الحسين، والعكس كذلك.

وذكر النبهاني (ت ١٣٥٠هـ) اصطلاح أهل الحجاز لِلَّقَبَين؛ لأجل التفريق بينهما.

غالب أشراف مكة، وحكام اليمن قديماً: حَسنيون، وجميع أشراف الطائف: نمَويُّون حَسنيون، وأشراف المدينة: حُسَينيون.

ذكر الشيخ: إبراهيم بن منصور الهاشمي: أنَّ لقبَ «السيِّد» مقدَّم على لقب «الشريف» عند أهل: اليمن، وشرق وجنوب السعودية، والعراق، وأقاليم في الشام، وأقاليم في مصر، وبلاد العجم.

ولقَبَ «الشريف» مقدَّمٌ على لقَبِ «السيِّد» في: الحجاز، ونجد، والمغرب، وأقاليم في مصر، وأقاليم في الشام، وغيرها.

قال: ولعل هذا العُرْف المناطقي من أسباب التفريق في إطلاق اللقبين. (١)

حكم لقب الشريف و السيد :

لم يُعلِّق الشرعُ المطهَّر الحكيمُ على هذين اللقَبَيْن حُكماً شرعيّاً، فالأحكام الشرعية مذكورة باسم النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وباسم آلِ البيت، وباسم ذوي القُربى .

---

(١) «تنبيه الحصيف إلى خطأ التفريق بين السيد والشريف» لإبراهيم الهاشمي.

قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة (ت ٧٢٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وأمـا اسـمُ الشَّرَفِ فليسَ هُو مِن الأسماءِ التي علَّقَ الشارعُ بِها حُكْمًا حتَّى يكونَ وحدَهُ مُتلَقَّى مِن جِهَةِ الشارِع ..... ثم ذكر معنى الشريف لغة واصطلاحًا، وقال:

فالشـريفُ هُو مَنْ له الرئاسة والسلطانُ، لكن لما كانَ أهلُ البيتِ أحقَّ مِن أهلِ البيوت الأخرى بالشـرَفِ ؛ صَارَ مَنْ كـانَ مِن أهـلِ البيتِ يُسَمَّى شَـرِيفًا.

فأهلُ العِراق لا يُسَمُّونَ شَرِيفًا إلا مَن كان من بني العباس، وكثيرٌ مِن أهلِ الشام، وغَيرِهم، لا يُسَمُّونَ شَرِيفًا إلا مَنْ كَانَ عَلَوِيًّا. (١)

وأمـا أحكـامُ الشـريعةِ التـي عُلِّقَـتْ، فهـي مـذكورةٌ باسـمِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وباسمِ أهلِ بيتهِ، وذَوِي القُرْبَى، وهذه الأسماء الثلاثةُ

(١) وقال ابن تيمية في « منهاج السنة» : (.... ولَكِنْ قتَلَ الحجاجُ كثيراً من أشرافِ العَرَبِ، أي: سادَاتُ العرب. ولما سمِعَ الجاهلُ أنه قتَلَ الأشرافَ ـ وفي لُغَتِهِ أنَّ الأشرافَ هُمْ: الهاشميون أو بعضُ الهاشميين، ففي بعض البلاد أنَّ الأشرافَ عندَهُمْ: ولَدُ العبَّاس، وفي بعضِها الأشرافُ عندَهُم: ولَدُ عَليٍّ ـ .

ولفظُ « الأشراف» لا يتعَلَّقُ بِه حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، وإنَّما الحُكْمُ يتعَلَّقُ بِبَنِي هَاشِمٍ، كتَحرِيمِ الصَّدَقَةِ، وأنَّهمْ آلُ مُحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغير ذلك).

إطلاقُ لقَبِ الأشراف في العراق على العباسيين، وفي الشام على العلويين، بناءً على الموطن السياسي، فقاعدة العباسيين في « العراق» (١٣٢هـ ـ ٦٥٦هـ)، وقاعدة العُبيديين في « مصر»، و « الشام» (٣٥٨هـ ـ ٥٦٧هـ). وانظر : « تنبيه الحصيف».

تَتَنَاوَلُ جَميعَ بَنِي هاشـم، لا فَـرقَ بَـينَ ولَـدِ العبَّـاسِ، ووَلَـدِ أبـي طالـب، وغَيرِهم.

وأعمــامُ النبــيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الــذين بَقِيَــتْ ذُرِّيَــتَهُم: العبــاسُ، وأبو طالب، والحارثُ بنُ عبدالمطلب، وأبو لهب. فمَنْ كان من ذرية الثلاثة الأولى؛ حَرُمَتْ عليهم الزكاةُ، واستَحَقُّوا مِن الخُمُسِ باتِّفَاقِ.

وأما ذُرِّيةُ أبي لهب، ففَيْهِ خِلافٌ بَين الفقهاء؛ لِكَونِ أبي لهب خَرَجَ عَن بني هاشم لما نَصَرُوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَنَعُوهُ ممَّنْ كان يُريدُ أَذَاهُ مِن قريش.

ودَخَلَ مع بني هاشـمٍ بنُو المطَّلِب ..... وذكَرَ حديث: « **إنما بنو هاشم وبنو المطلِّب شَيءٌ واحد** ».

وأفضلُ الخَلقِ: النبيُّونَ، ثـم الصـديقون، ثـم الشـهداء، ثـمَّ الصـالحون، **وأفضلُ كُلِّ صِنْفٍ**: أتقاهُم، كما قـال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لا فضلَ لِعَرَبيٍّ عَلى عَجَمِيٍّ، ولا لِعَجَمِيٍّ عَلى عَرَبِيٍّ، ولَا لِأَبْيَضَ عَلى أسوَدَ، ولا لِأَسودَ على أبْيَضَ، إلا بالتَّقْوَى**». هذا في الأصنافِ العامَّةِ.

وأفضَـلُ الخلـقِ في الطبَقَـاتِ : القَـرنُ الـذين بُعِـثَ فـيهم رَسُـولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ الذين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذين يَلُوْنَهُمْ.

وأمـا في الأشـخاص: فأفْضَـلُهُمْ النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثـمَّ إبـراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فتبَيَّنَ أنَّ الشَّرَفَ لَيس لِبَنِي هَاشِمٍ خَاصَّةً، بل يَتنَوَّعُ بِحسَبِ عُرْفِ المخَاطَبِيْنَ، ومَقَاصِدِهُمْ.

وأمَّا المسمَّى بِهذا اللفظ، فيُقَالُ: مِن الأحكام ما تشتَرِكُ فيه قُرَيشٌ كُلُّهَا، نحو: الإمامة الكبرى....

ومن الأحكامِ ما يختَصُّ بِبَنِي هاشِمٍ، أو بَنِي هاشمٍ معَ بَنِي المطَّلِبِ، دون سائر قريش، كالاستحقاقِ مِن خُمُسِ الغنائم، وتحريمِ الصدَقَةِ، ودُخُولِهم في الصلاة إذا صُلِّيَ عَلى آلِ محمَّدٍ، وثُبُوتِ المزيَّةِ عَلى غَيرِهِمْ.

ومَنْ كانَتْ أمُّهُ قُرَشِيةً دُونَ أبِيهِ، لم يَستَحِقَّ الإمَامَةَ التِي اختُصَّتْ بِها قُريشٌ.

ومَن أُمُّهُ هاشِمِيَّةٌ أوْ غَيرَ فاطَمِيَّةٍ، وأبوه لَيس بهاشِمِيٍّ ولا مُطَّلِبِيٍّ؛ فَلا يَستحِقُّ مِن الخُمُس كما يستحقُّ بنُو هاشِم، وإنْ كانَ ينتَسِبُ إليهم نَسَبًا مُطلَقًا، فلَهُ نوْعُ امتِيَازٍ لِكَوْنِ أُمِّهِ مِنْهُم.

وأمَّا أَوْلَادُ العِتْرَةِ، فلَهُم مِن الاختصاصِ بقَدْرِ مَا لهُمْ مِن النَّسَبِ؛ لِكَونِ أحدِهِمْ أفضلَ مِنْ غَيرِهِمْ.

وبِكُلِّ حالٍ، فهذه الخصائصُ لا تُوجِبُ أنْ يكونَ الرَّجلُ بنفسِهِ أفضلَ مِن غيرِهِ لأجلِ نَسَبِهِ المجَرَّدِ، بل التفاضُلُ عِندَ اللَّهِ بِالتقَوى كما

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ، لَيسُوا لِي بِأَولِيَاءَ، إنَّما وَلِيِّيَ اللهُ، وصَالحُ المؤمنين».

فَمَنْ كانَ في الإيمانِ والتقوى أفضلَ؛ كانَ عِندَ اللهِ أفضلَ ممَّنْ هُو دُونَهُ في ذلك، وأولَاهُمْ بِرسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنْ كان غيرُهُ أقربَ نَسَبًا مِنْهُ، فإنَّهُ لا شَكَّ أنَّ الولَايَةَ الإيمانِيَّةَ الدِّينِيَّةَ أعظمُ وَأوثَقُ صِلَةً مِن القَرَابَةِ النَّسَبِيَّةِ، والله أعلم).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (إنما يفضلُ الإنسانُ بإيمانه وتقواه؛ لا بآبائه؛ ولو كانوا من بني هاشم أهلِ بَيتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فإنَّ اللَّهَ خلقَ الجنة لمَن أطاعه وإنْ كان عبداً حبشيًّا، وخلقَ النار لمن عصاه ولو كان شريفًا قُرشيًا، وقد قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣).

وفي « السنن» عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « لا فضلَ لعَربيٍّ على عجَميٍّ، ولا لعجَمِيٍّ عَلى عَربيٍّ، ولا لأسوَدَ على أبيَض، ولا لأبيَض علَى أسْوَدَ، إلا بالتقوَى. الناسُ مِن آدَم، وآدَمُ مِن تُراب».

وفي « الصحيحين» عنه أنه قال لقبيلة قريبة منه: « إنَّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي اللَّه وصالح المؤمنين». فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ موالاته ليست بالقَرابة والنسَب؛ بل بالإيمان والتقوى).

وقال ابن تيمية ـ أيضًا ـ : (... وإذا كان كذلك فأولياؤه المتقون بينه وبينهم قرابة الدين والإيمان والتقوى. وهذه القرابة الدينية أعظم من القرابة الطينية، والقُرب بين القلوب والأرواح أعظم من القرب بين الأبدان؛ ولهذا كان أفضلَ الخلق أولياؤه المتقون، وأما أقاربُه ففيهم المؤمنُ والكافر، والبرُّ والفاجر، فإن كان فاضلاً منهم كعَلي، وجَعفر، والحسَن، والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فتفضيلُهم بما فيهم من الإيمان والتقوى، وهم أولياؤه بهذا الاعتبار، لا بمجرَّدِ النسَبِ، فأولياؤه أعظمُ درجةً مِن آله، وإنْ صُلِّيَ عَلى آلِه تبعًا لَه؛ لم يقتضِ ذلك أن يكونوا أفضلَ مِن أوليائه الذين لم يُصلِّ عليهم، فإنَّ الأنبياءَ والمرسلين هُم من أوليائه، وهُمْ أفضلُ مِن أهل بيته، وإنْ لم يدخلوا في الصلاةِ معه تبعًا، فالمفضول قد يختصُّ بأمر، ولا يلزم أن يكون أفضلَ من الفاضل، ودليل ذلك أنَّ أزواجَه هُم ممن يُصلَّى عليه، كما ثبت ذلك في « الصحيحين »، فقد ثبتَ باتِّفَاق الناس كلِّهم أنَّ الأنبياءَ أفضلُ منهن كُلِّهن).

وقال أيضًا رَحِمَهُٱللَّهُ : (لم يُثْنِ اللَّهُ على أحَدٍ في القرآن بنسَبِهِ أصلاً : لا عَلى ولَدِ نَبيٍّ، ولا على أَبِي نَبِيٍّ، وإنما أثنى على الناسِ بإيمانهم وأعمالهم.

وإذا ذكرَ صنفًا وأثنَى عليهم؛ فَلِمَا فيهم من الإيمان والعمل، لا لمجرَّدِ النَّسَبِ.

ولما ذكرَ الأنبياءَ ـ ذكرهم في الأنعام ـ وهم ثمانية عشر قال: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الأنعام، آية: ٨٧) . فبهذا حصلت الفضيلة باجتبائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم، لا بنفس القرابة.

وقد يُوجِبُ النسَبُ حقوقاً، ويُوجِب لأجلِه حُقوقاً، ويُعلِّق فيه أحكاماً من الإيجاب والتحريم والإباحة، لكنَّ الثوابَ والعقابَ والوعدَ والوعيد على الأعمالِ لا عَلى الأنسَابِ. ...).

وقال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وينتَفِعُ المنتَسِبُ بِذلِكَ إنْ صَحِبَهُ القِيَامُ بِأمْرِ الدِّينِ، ولم يَكُنْ فيهِ مِن المتهَاوِنِينَ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾) ا.هـ .

هذا، وقد كَرِه بعضُ أهل العلم أن يُلقِّبَ الهاشميُّ نفسَه بِـ : الشريف، والسيِّد؛ لأن فيه تعظيمَ نفسِه وتزكيتَها.

والصواب أنه لا يُكرَه ذلك، وليس مستحبًّا أيضاً، بل هو مباح؛ لأنه مصطلح تعريفي لا تعظيم فيه ولا تزكية، بل إشارة إلى النسَب لا غير.

ولقبُ الشَّرَفِ لا يلزم منه عدمُ الفِسْق.

ويُحذَر من إطلاق لفظ «السيِّد» على مَن فيه ضلالة ظاهرة، وبدعة، لحديث النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقولوا للمنافق: سيِّد، فإنه إنْ يَكُ سيِّدَاً، فقَدْ أسخَطْتُمْ ربَّكُمْ** عَزَّوَجَلَّ».

أخرجه: أحمد، وأبو داوود، والنسائي.

ومِن العلماء مَن يرى عدم جواز تلقيب غير ذرية السبطين بالأشراف؛ لجريان العُرف بذلك، ولعدم اختلاط الأنساب، والاشتباه بين الناس، ويرى بعضهم تأديب من يفعل ذلك.

ومنهم من يرى جواز لقب الشريف لكل شريف أيًّا كان، وكذا السيِّد لمن كان سيداً، ولا يجوز منع إطلاقهما على غير الهاشميين أو ذرية السبطين. وإن كان الأولى عند الإطلاق ـ في مواطن الاشتباه ـ التقييد حتى لا يشتبه بذرية السبطين، وهذا هو الأولى ـ والله أعلم ـ؛ لأنَّ الأنسابَ محفوظة لا تتأثر بلقَبٍ أو لباس.

• لقبُ: الحسَني أو الحُسَيني الهاشمي، أفضلُ وأحسنُ من لقَبِ الشريف أو السيد.

الأفضلُ والأولَى أن يَذكُر ولَدُ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لقبَه: الحسَنِي أو الحُسَينِي الهاشمي، وهو أحسن من ذِكر: «السيد» و «الشريف» قبل الاسم أو بعده؛ **لأمور:**

١. أنَّ لقبَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الهاشميُّ القرشيُّ، والاتِّساءُ به في ذلك مِن أولادِه أفضلُ.

٢. أنَّ اللقَبَين: السيد، والشريف، لم يُستخدما في القرون المفضَّلة.

٣. أنَّ المستعمل في القرون المفضَّلة لقب: «الهاشمي».

٤. أنَّ اللقبين من الألقاب المشتركة، فقد يكون المرءُ ـ غيرُ الهاشمي ـ سيداً في قومه، شريفاً في أفعاله، وله أن يتلقَّب بذلك ـ على الصحيح ـ؛ بخلاف لقب الهاشمي، فله حُرْمَةٌ ومكانَةٌ ووَقْعٌ في النفوس؛ محبةً للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآلِه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. والناسُ يكرهون من يَنتسِب إلى جَدٍّ له اسمه هاشم، فيقول: الهاشمي؛ لما فيه من الالتباس بآل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وحَريٌّ أن يُمنَع هذا اللقب «الهاشمي» في بلاد الإسلام إلا لآلِ النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥. أن اللقَبَين من الألقاب المستهلَكةِ كثيراً عند المسلمين، وغيرِ المسلمين بخلاف لقب: الهاشمي.

٦. خروجاً من خلاف مَن قال بأن اللقبَين المذكورَين فيهما تزكية، فيُكره التلقُّبُ بهما، وإن كان الصوابُ عدمَ الكراهة، وأنهما للتعريف.

٧. جاء النهي في الحديث عن تلقيب الفاسق بـ«السيِّد»، وقد يكون أحدُ الهاشميين معروفاً بفسقه وضلاله، فتلقيبُه بالسيد والشريف فيه ما فيه.

• الأوقاف والوصايا على « الأشراف» هل تكون لذرية السبطين: الحسن والحسين فقط، أم لآل هاشم ؟

يُرجع في ذلك إلى تقييد الـمُوْقِفِ والـمُوصِـي، فإن لـم يوجد ما يـدل عليه، فالمرجع العُرف في إطلاق هذا اللقب، زمَنَ الموصِـي ومَكانَه .

• الهاشمي مولاهم .

يجوز لمولى الهاشميين أن ينتسب إليهم، لكن يجب أن يصـرح بأنه مولاهم، فيقول: .... الحسَني مولاهم، أو الحُسَيني مولاهم، أو الهاشمي مولاهم، أو العبَّاسي مولاهم، أو العَقِيلي مولاهم، وهكذا كما هو متقرر في علم النسب، ومعمول به في كتب التراجم.



٣ـ اللباس :

شُطْفَة [١] = قِطعَةٌ خضراء على العمامة، ثم توسَّعَ بعضُهم فجَعَلَ العِمامةَ كلَّها خضراء.

ليس لها أصل في الشرع الحكيم، ولا في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم .

أصلها: أنَّ الخليفة المأمون: أبا العباس، عبدَ الله بنَ هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي،[٢] بَايع بالعَهْدِ (سنة ٢٠١هـ) لِـ :علي بن مُوسى ـ الرِّضَا ـ بن جعفر بن محمد ـ الصادق ـ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم (ت٢٠٣هـ) ، ونوَّهَ بِذكرِه، ونبذَ السَّوادَ، واتَّخَذَ لهم شِعَارَاً أخضَرَا؛ فهاجَتْ بنو العباس، وخلَعُوا المأمون، ثم بايعوا عمَّه إبراهيم بنَ المهدي ....ثم انثنى عزمُه، وردَّ الخلافة إلى بني العباس.

فبقي الأخضرُ شِعَارَ الأشرَافِ من ذُرِّيةِ السِّبْطَين.

ثم اختَصَرُوا الثياب إلى قِطعَةِ ثَوبِ خَضْرَاءَ = شُطْفَة خضراء، تُوضَعُ عَلى عَمائِمِهِمْ؛ شِعَارَاً لهم، ثمَّ انقطعَ ذلكَ إلى أواخِرِ القَرنِ الثامِنِ الهجرِي.

---

(١) شُطْفَة بزِنَة غُرْفَة: لفظة عامية محدَثة، وهي علامةٌ خضراءُ تُجْعَل في عمائم الأشراف .

(٢) خِلافتُه من أول سنة (١٩٨هـ) إلى (٢١٨هـ).

ففي سنةِ ثلاثٍ وسبعين وسَبعِمئة (٧٧٣ هـ) أمَرَ السلطانُ الأشرفُ: شعبان بنُ حسين بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحي النجمي، سلطان الديار المصرية والشامية (ت ٧٧٨ هـ) وعُمُره (٢٤ سنة)[1] أنْ يمتَازُوا عَلى الناسِ بعصَائِبَ خُضْرٍ = علامة خضراء = شُطْفَة أي قطعة خضراء عَلَى العمائم[2] ولَيسَ عمامةً خضراء، فَفُعِلَ ذِلكَ بِأكثرِ البلادِ كمِصْرَ، والشامِ، وغيرِهما.

وذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ) بقاءَ هذا الشعار إلى وقته.

قال أبو عبد الله بن جابر الأندلسي الأعمى نزيل حلب:

جعلوا لأبناءِ الرسولِ علامةً * إنَّ العلامةَ شأنُ مَن لم يشهرِ
نورُ النبوةِ في كريمِ وجُوهِهم * يُغنِي الشريفَ عن الطِرازِ الأخضرِ

وقال الأديب محمد بن إبراهيم بن بركة الدمشقي المزين:

أطرافُ تِيجان أتَتْ من سُنْدُسٍ * خُضْرٍ بأعلامٍ على الأشرافِ
والأشرفُ السلطانُ خصَّصَهمْ بها * شَرَفاً لِيفَرقَهُم مِن الأطراف

---

(١) أجمع مَن ترجم للأشرف على الثناء عليه، وذِكر محاسنِهِ الجمَّة.
وباعث هذا التمييز: محبة آل البيت، وأن يعرفهم الناس ويقدرونهم. وليس صحيحاً ما ظنه بعض المعاصرين من أن أمره بذلك لأجل استمالة الأشراف له، في زمن اضطراب مُلكه.

(٢) زاد المقريزي في « السلوك»: والعلامة الخضراء ـ أيضاً ـ في أُزُر النساء !! وكذا ذكره ابن إياس، ولعله نقله من المقريزي، ولم أجد هذه الإضافة عند غيرهما .

وقد اختلف العلماء في هذا التمييز لغير عقب فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا = ذرية السبطين الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

منهم مَن يرى أنه لا يجوز لأحدٍ من غير ذرية السبطين لُبْس العمامة الخضراء أو الشُّطْفَةِ الخضراء، المختصة عرفًا بذرية السبطين؛ لئلا يحصل اختلاط في الأنساب، وقد يسبب ذلك اختلاطًا وإشكالاً في الاستفادة من الأوقاف المخصصة للأشراف من ذرية السبطين.

ذكر ذلك وشدَّدَ فيه بعضُ المتأخرين من المالكية، بل رأوا تأديب مَن يلبسها من غير ذرية السبطين.

ويبدو أن الاختصاص لم يستمر؛ لأنَّ الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠هـ) يرى أنه لَمْ تَعُدْ الشطفة الخضراء في زمانه مختصةً بالأشراف، وذكر أنه عمَّت بها البلوى، ولَبِسَها غيرُهم، فلا تأديبَ إذَنْ.

ومع ذلك يرى أنَّ الأفضلَ عدمُ لُبْسِها لغير ذُرية السبطين.

ومِن العلماء مَن يرى الجواز، وأنه لا دليل على تخصيص اللباس الأخضر، ولا على منع غيرهم من لبسه، وأن الاختلاط والاشتباه متوهَّم؛ لأن الأنساب محفوظة مضبوطة لا تتأثر باللباس.

فيجوز للناس كلهم لبس العمائم الخضر، وأن يُلقَّب غيرُ الهاشميين بالأشراف.

• **نكاح الفاطميات**

يجوز لكل عربي كفؤ في النسب أن يتزوج الفاطميات = ذرية الحسن أو الحسين؛ ولا يجوز منع تزويج الفاطميات إلا من الفاطميين أو الهاشميين، فهذا القول بدعة منكرة، وضرر بالغ بنساء آل البيت.

وقَصْرُ الفاطميات على الفاطميين قولٌ مَشهُورٌ عند الزيدية، وأوَّلُ مَن قال به: العياني (ت ٤٠٤هـ)، ولا يَعرِفُ هذا القولَ عُلماءُ السُّنَّةِ والجَمَاعَة.

[١٤] بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

مكانه:

كان بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِحَارثةَ بنِ النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتحوَّل عنه لفاطمة بعد زواجها.

وقد أجمع المؤرخون على أن بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على المسجد مباشرة، وعبَّر بعضهم بأنه في جوف المسجد، ملاصقًا لبيت عائشة من جهة الشمال، ويكون عن يسار المصلي.

وهو في مَوضع الزَّوْر مَخْرَج النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت فيه كُوَّةٌ إلى بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فكان رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام إلى المخرج اطَّلع من الكوة إلى فاطمة فعَلِم خبرَهم... ثم سألَتْ فاطمةُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَسُدَّ الكوة، فسدَّها رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فالمخرج ـ موضع الكنيف ـ، وهو خلف حجرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، بينها وبين بيت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، ومحله في الزور، الموضع المزوَّر، شِبه المثلث في بناء عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جهة الشام.

وكانت أسطوانة التهجد خلف بيت فاطمة.

وقد ذكر عبدُالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن بين بيت فاطمة وبين القبر خوخة.

وقد استمر البيت لولد فاطمة ، فوُلِد فيه عبدُالله بن الحسن، ورُوي أنَّ الحسنَ بنَ الحسنِ بنِ علي بن أبي طالب كان في بيت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يتعشَّى، فرأى سُهيل بن أبي سُهيل عند القبر، فناداه...

و في زمن **الخليفة** : الوليد بن عبدالملك (ت ٩٦هـ) حين قدِم حاجًّا، وخطبَ في المسجد النبوي ، فرأى ـ وهو يخطب ـ في بيت فاطمة بنتِ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسنَ بنَ حسن بن علي...ثم أمَر واليه على المدينة: عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشراء البيت وإدخاله في المسجد لتوسعته.

فهدَم عمر بن عبدالعزيز بيت فاطمة، وأدخله في المسجد، وذلك سنة إحدى وتسعين، ومكث في بنيانه ثلاث سنين.

كان يسكن فيه وقتَ هَدْمه : فاطمة بنت الحسين بن علي، وزوجها: حسن بن حسن...

فأدخل عمرُ بنُ عبد العزيز بعضَ بيتِ فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من

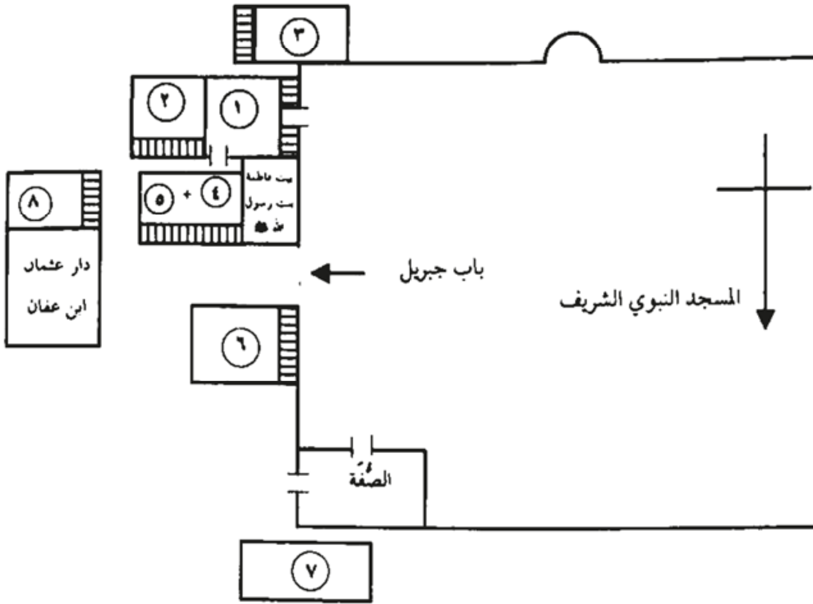
جهة الشمال في الحائِز الذي بناه مُحرَّفًا على الحجرة الشريفة، يلتقي على ركن واحد ـ ركن خامس ـ ؛ لئلا تكون الحجرة الشريفة مربعة كالكعبة، فيتصوَّر جهال العامة أنَّ الصلاة إليها كالصلاة إلى الكعبة، وبقي بقية البيت من جهة الشمال.

وأما وصف البيت :

فمُشابِهٌ لصفةِ بُيوتِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحجراته، لأنَّ البيوت ـ كما سبق ـ كانت لحارثة بن النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فتحوَّل عنها، وقد جاء وصفها باليُسْر والصغَر، مما يدل على الزهد في الدنيا، وقصر الأمل:

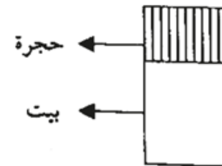
أخرج البخاري في «الأدب المفرد»، وابنُ أبي الدنيا في «قصر الأمل»، وغيرهما، عن عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا داود بن قيس، قال: رأيتُ الحُجُرات من جريد النخل مُغَشَّى من خارجٍ بِمُسُوحِ الشَّعْرِ، وأظنُّ عرضَ البيتِ من باب الحُجْرة إلى باب البيت: نحواً من ستٍّ أو سبعِ أذرُع، وأحزِرُ البيتَ الداخلَ: عشْرَ أذرُع، وأظنُّ سُمْكَهُ بين الثمانِ والسَّبْعِ نحوَ ذلك، ووقفْتُ عندَ بَابِ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فإذا هُوَ مُستَقْبِلَ المغْرِبِ.

وأخرجَا ـ أيضـًا ـ ، وابنُ سعد ، وغيرهم، عن عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا حُريث بن السائب، قال: سمعت الحسنَ ـ وهو البصري ـ يقول: كنتُ أدخل بيوتَ أزواج النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأتناول سُقُفَها بيدي.



مخطط تقريبي لمواقع بيوت النبي ﷺ وحجراتها من صنع المؤلف

- ① بيت عائشة وحجرتها
- ② بيت سودة وحجرتها
- ③ بيت حفصة وحجرتها
- ④+⑤ بيت زينب بنت خزيمة وحجرتها ومن بعدها أم سلمة
- ⑥ بيت زينب بنت جحش وحجرتها
- ⑦ دار أم حبيبة
- ⑧ بيت صفية وحجرتها



من كتاب « بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحجراتها » أ.د. محمد بن فارس الجميل (ص١١٠)

[١٥] صفتها وشمائلها رضي الله عنها .

كانت رضي الله عنها تشبه أباها صلى الله عليه وسلم في مِشْيَتِه وهَدْيِهِ وسَمْتِهِ.

لم تذكُر كتبُ السُّنةِ المُشرَّفة، والتاريخ، والتراجم إلا شبَهَها بأبيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم في : مِشيَتِهِ، وهَديِهِ، وسَمْتِهِ، وكَلامِهِ.

وقد تجرأ بعضُ المعاصرين فذكروا شيئاً من صِفتها الخَلقية بما لم يرد له ذكر البتة في كتب المسلمين لا تصريحاً ولا تلميحاً.

وغالب الظن القريب من اليقين أنها أُخذت من كتب الإمامية ، أو المستشرقين الذين أخذوا من كتب الإمامية ـ ولا يُعوَّل على ذلك كما لا يخفى ـ .

قال أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠ هـ) رحمه الله في وصف فاطمة رضي الله عنها :

(ومن ناسكات الأصفياء وصفيات الأتقياء فاطمة ـ رضي اللهُ تعالى عنها ـ ، السيدة البَتول، البَضعةُ الشبيهةُ بالرسول، ألوَطُ أولادِه بقلبِه لُصُوقاً، وأولهم بعد وفاته به لحوقاً، كانت عن الدنيا ومُتعتها عازِفة، وبغَوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارِفة...).

كانت قويةَ النفسِ شُجَاعَةً لا تهابُ في الحق، ففي صغرها ـ مع ضعف المسلمين واضطهادهم ـ لما وضعَ الأشقياءُ كُفَّارُ مكة على ظهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وهو ساجدٌ ـ سَلا الجَزور؛ أتت فاطمة

فأزالَتْـهُ، وشتَمَتْـهُمْ ، قـال ابـن حجـر العسـقلاني (ت٨٥٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ :
(وفيه قـوَّةُ نَفسِ فاطمـة الزهـراء مـن صِـغَرها ؛ لِشَـرَفِهَا في قومهـا ونفسِـهَا، لكونها صَـرَخَتْ بشَتْمِهِم وهُمْ رؤوس قريش، فَلَمْ يردُّوا عَليها) .



[١٦] حالها مع أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

بِرُّها به، نفقةُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، وقيامُه عليها بالعدل، ومحبتُه لها واحتفاؤه بها، الزيارة بينهما، وغيرتُه عليها، دفاعُهَا عنه، وحِفظُها لِسرِّه، تعليمُه إياها.

أولاً: برها به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن عبداللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يصلي عند الكعبة وجَمْعُ قريش في مجالسهم، إذْ قال قائلٌ منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جَزُورِ[1] آل فلان، فيعمد إلى فَرْثِهَا[2] ودَمِها وسَلَاها [3]، فيجيءُ به، ثم يُمْهِلُه حتى إذا سجَدَ وضعَهُ بين كتفَيه، فانبعثَ أشقَاهم، فلمَّا سجدَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعَه بين كتفيه !! وثبَتَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجداً، فضحكوا حتى مالَ بعضُهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلقٌ إلى فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ـ وهي جويرية ـ، فأقبلت تسعى، وثبتَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجداً حتى ألقَتْهُ عنه، وأقبلَتْ عليهم تسُبُّهم، فلمَّا قضَى رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة، قال: «اللَّهم عليكَ بقُريش، اللَّهُم عليكَ بِقُريش، اللَّهُم عليك بِقُريش»، ثم سمَّى:

---

(١) الجَزورُ من الإبل: يَقَعُ على الذكَر والأنثى.

(٢) الفَرْث: السِّرجين ما دام في الكَرِشِ.

(٣) الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه.

« اللَّهُم عليكَ بعَمْرو بنِ هشام، وعُتبةَ بنِ ربيعة، وشيبةَ بنِ ربيعة، والوليدَ بنِ عتبة، وأُمَيَّةَ بنِ خلف، وعقبةَ بنِ أبي مُعيط، وعمارة بنِ الوليد» .

قال عبدُاللهِ بن مسعود : فوَ اللهِ لقد رأيتُهم صرعى يوم بدر، ثم سُحِبوا إلى القليب، قليبِ بدر، ثم قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وأُتبعَ أصحابُ القليبِ لَعْنَةً » . متفق عليه.

في رواية في « الصحيحين» : أن الذي جاء بِسَلَى الجزور، ووَضَعَه على ظهر النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو عقبة بن أبي مُعيط.

حتى جاءت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فأخذت من ظهره، ودَعَتْ على مَن صنع ذلك.

تأمَّلْ قُدُومَها ــ وهي جاريةٌ صغيرةٌ دون البلوغ ـ لترفع الأذى عن والدها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تتوجَّه إليهم ــ وهم كبار قريش ــ فتسبُّهم، ولم يَتعَرَّضوا لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الحافظ ابنُ حجَر ـ كما سبق ـ : (وفيه قوةُ نَفْس فاطمةَ الزهراء من صِغَرها؛ لِشَرَفِها في قومِها ونفسِها، لِكونها صرَخَتْ بشتمهم وهُم رؤوس قريش، فلم يردُّوا عليها).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنَّ الملأ من قريش اجتمعوا في الحِجْرِ، فتعاهدوا باللات، والعُزَّى، ومنَاة الثالثة الأخرى: لو قَدْ رأينا محمداً، قُمْنَا إليه قيام رجُلٍ واحِدٍ، فلم نُفَارِقْهُ حتَّى نقتله، قال: فأقبلَتْ

فاطمةُ تبْكِي حتَّى دخلَتْ على أبيها، فقالت: هؤلاء الملأُ مِنْ قَومِكَ في الحِجْرِ، قد تعاهدوا: أنْ لَوْ قدْ رَأوكَ قامُوا إليك فقتَلُوكَ، فليس منهم رجلٌ إلا قَدْ عَرَفَ نصيبَهُ مِن دَمِكَ، قال: « **يا بُنَيَّة، أدْنِي وضوءاً** »، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجدَ، فلمَّا رأوه، قالوا: هُوَ هذا، هُوَ هَذَا. فخَفَضُوا أبصارَهُم، وعقَرُوا [1] في مجالِسِهِم، فلَمْ يرفَعُوا إليه أبصارَهُم، ولم يقَمْ منهم رجُلٌ، فأقبلَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى قامَ عَلى رءوسِهِم، فأخَذَ قبضَةً مِن تُرَابٍ، فحصَبَهُمْ بها، وقال: « **شَاهَت الوُجُوه** ».

قال: فما أصابَتْ رجُلاً منهُم حصَاةٌ إلا قُتِلَ يومَ بَدْرٍ كافِرَاً.

أخرجه: الإمام أحمد، وسعيد بن منصور، وهو حديث حسن.

مِن برِّها بأبيها: مُعالجتُها إياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :

عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنه سُئل عن جُرح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُحُد [2]، فقال: « جُرِح وجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

---

(١) العَقَر بفتحتين: أن تُسْلِمَ الرجُلَ قوائِمُهُ من الخوف. وقيل: هو أن يفجأهُ الرَّوعُ؛ فيَدهَش، ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر.

(٢) قال ابنُ حَجَر: (.. **ومجموع ما ذُكر في الأخبار**: أنه شُج وجهه، وكُسِرت رباعِيته، وجرحت وجنتُه، وشفته السفلى من باطنها، وهي منسكبة من ضربة ابن قمئة، وجُحِشَتْ ركبتُه .

وكُسِرَتْ ربَاعِيَّتُهُ (١)، وهُشِمَتْ البَيْضَةُ (٢) على رأسِه (٣)، فكَانت فاطمةُ عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ تغْسِلُ الدَّمَ، وعَليٌّ يُمسِك، فلما رأتْ أنَّ الدمَ لا يزيدُ إلا كثرةً، أخذَتْ حصِيراً فأحرَقَتْهُ حتَّى صَارَ رمَاداً (٤)، ثم ألزَقَتْهُ؛ فاستَمْسَكَ الدَّم ».

متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: وعليٌّ يأتي بالماء على تُرسِه وفي رواية يسكب الماء بالمِجَنِّ. و (فحُشي به جُرْحُه). والمِجَنُّ هو التُّرْس.

تأمل فعلها هذا ، مع هول المصيبة، وشدة الواقعة، وما أُشيع ـ حينئذ ـ من موت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والأنظار تتجه إلى موضعه، وقد علاه الجهد، وسال الدم على وجهه الشريف صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومع ذلك تنفرد فاطمة من

وروى عبد الرزاق، عن معمر ، عن الزهري قال: « ضُرِبَ وَجْهُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومئذ بالسيف سبعين ضربةً وقاه اللَّهُ شرَّها كلَّها » .

وهذا مرسلٌ قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة في الكثرة).

(١) ذكر ابن العراقي أن الرباعية هي : السن التي تلي الثنية من كل جانب، وللإنسان أربع ثنايا، وهي الواقعة في مقدَّم الفم: ثنتان من أعلى، وثنتان من أسفل. وتليها الرباعيات أربع أيضًا: ثنتان من أعلى، وثنتان من أسفل. وقد تبيَّن مما تقدم أن الذي كسر من رباعياته الرباعية اليمنى السفلى .

(٢) كُسرت الخوذة، وهي مما يُلبَس على الرأس من آلات الحرب.

(٣) الفاعل لهذه الجريمة الشنيعة: عبداللَّه بنُ قَمِئَةَ، وقيل: عُتبةُ بن أبي وقاص.

(٤) قال المهلَّب: فيه أن قطع الدم بالرماد من المعلوم القديم المعمول به... إلخ .

بين الناس كلِّهم في هذا الجمع الكبير؛ لتغسل الدم، ثم تعالج استمراره بحرق الحصير ووضعه على الجرح، وهذا يدل على بِرِّها، كما يدل على قوتها وصبرها، وحذقها وشجاعتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

س: ما سببُ ذهابِ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى أُحُد ؟

يُقال: لما كان يوم أُحد، وانصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعينونهم، فكانت فاطمة فيمَنْ خرج، فلما رأت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتَنَقَتْهُ، وجعلت تغسل جراحاته بالماء، فيزداد الدم؛ فلما رأت ذلك أخذَتْ شيئًا من حصير فأحرقته بالنار، وكمدته به حتى لصق بالجرح؛ فاستمسك الدم..).

عن أم هانئ بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ذهبتُ إلى رسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفتح، فوجدتُه يغتسلُ، وفاطمةُ ابنتُه تسترُه، قالت: فسلَّمتُ عليه، فقال: « مَنْ هذه» ؟

فقلتُ: أنا أم هانئ بنت أبي طالب.

فقال: « مرحبًا بأم هانئ » .

فلما فرغ من غُسْلِهِ، قام فصلى ثماني ركعات مُلتَحِفًا في ثوب واحد، فلما انصرف، قلتُ: يا رسول اللهِ، زعَمَ ابنُ أمِّي أنه قاتِلٌ رجُلاً قدْ أجَرْتُهُ، فلانَ بنَ هُبيرة، فقال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قد أجَرْنَا مَنْ أجَرْتِ [1] يا

---

(١) الإجارة: الأمان، أي: أمَّنَّا مَنْ أمَّنْتِ .

أَمَّ هانئ ». قالت أم هانئ: وذاك ضُحى.

متفق عليه.

في رواية: « فسترته ابنته فاطمة بثوبه، فلما اغتسل أخذه فالتحف به ».(١)

حزنها في مرض أبيها ووفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سيأتي ذكره في آخر الكتاب.

دلَّتْ هذه الأحاديثُ وغيرها على عناية وبِرِّ فاطمة بأبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع محبتها البالغة، وقد اجتمع عليها حقَّان عظيمان: بر الوالدين، وحق نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقامت بهما أتم قيام رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ومِن البَدَهي أنه لايمكن القولُ بأنَّ صُوَرَ بِرِّهَا هي ما وردَتْ في الأحاديث المنقولة فحَسْب، لأنَّ اليقينَ أنَّها بذَلَتْ جَميعَ صُوَرِ البِرِّ والإحسانِ لأبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **فائدة**: رُوِي من حديث أم هانئ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: لما كان يومُ الفتحِ - فتحِ مكة - **جاءت فاطِمةُ، فجلست عن يسار رسولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأُمُّ هانئ عن يمينه، قال: فجاءت الوليدةُ بإناءٍ فيه شرابٌ فناولتْهُ، فشَرِبَ منه، ثم ناولَه أُمَّ هانئ، فشربَتْ منه، فقالت: يا رسولَ اللَّه، لقد أفطرتُ وكنتُ صائمةً، فقال لها: « **أكُنْتِ تقضِينَ شيئًا** » ؟ قالت: لا، قال: « **فلا يَضُرُّكِ إن كان تطوُّعًا** ». رواه الدارمي، وأبو داوود، وهو حديث ضعيف.

بِرُّها بوالدتها خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

لـم يُنقـل إلينا شَـيءٌ مـن هـذا ـ بعـد البحـث ـ ، وقـد تُوفِّيَـت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل الهجرة بثلاث سنين ـ على الـراجح ـ وعُمْرُ فاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قريبٌ من ست عشرة سنة، منها ثلاث في الحصار في شِعْب أبي طالب.

وقد رُوِيَ عن مُهاجر بنِ مَيمون الحضرمي، عـن فاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهـا قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أينَ أُمُّنَا خديجة ؟ قـال: « في بيـتٍ مـن قَصَـب، لا لغْوَ فيه ولا نصَبَ، بينَ مريم وآسيةَ امرأةِ فرعون».

قالـت: أمِـنَ القَصَـبِ ؟ قـال: « لا، بـل مـن القَصَـبِ المنظـوم بالـدُّرِّ والياقُوتِ واللؤلؤ ».

الشاهد فيه : سؤال فاطمة عن أمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهـو حـديث ضـعيف، يُغنـي عنـه مـا ثبـت في « الصـحيحين» في مكانـة خديجة في الجَنَّةِ ــ وليس فيه الشاهد ــ .

فائـدة : يُلحـظ أنَّ لفاطمـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حُضـوراً في أسـفارِ والـدها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومشَاهدِه، وغيرِها :

في العهد المكي، في دفاعها عن والدها ـ كما سبق ـ .

وفي غزوة أحد (٣ هـ) ـ كما سبق ـ .

وكانت معه في « عمرة القضاء» (٧هـ) ـ كما في « صحيح البخاري» [١]

---

(١) رقم (٢٦٩٩)، و (٤٢٥١) .

في حديث تنازع علي وجعفر في ابنة حمزة ـــ .

وكانت معه في « فتح مكة » (٨ هـ) لما سترته عند اغتساله.

وكانت معه ـ أيضاً ـ في حجة الوداع (١٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا .

ثانياً : نفقته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عليها .

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أتقى الناس لربه عَزَّوَجَلَّ، وأحسن العالمين خُلقاً، ومن كريم الأخلاق، وجميل السجايا أن يحسن الإنسان إلى من يعول، وأن لا يضيِّع من يقوت.

وقد وردت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الإنفاق على الأولاد أحاديث، وورد عنه الإحسان إلى البنات ورعايتهن، ومن أعظم الإحسان: القيام بالنفقة عليهن .

وأفضل مَن يعمل بها هو النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ؛ لتقواه، وحسن تربيته، وجميل أخلاقه.

فا لمسلم يبدأ في النفقة بالأقرب فالأقرب:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: « **أفضل الصدقة ما ترك غِنَى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمَن تَعُول** ».

تقول المرأة: إما أن تطعمني، وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني ».

فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال: « لا، هذا من كيس أبي هريرة ». أخرجه: البخاري

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « خيرُ الصدقة ما كان عن ظهر غِنى، وابدأ بمن تعُول ». أخرجه: البخاري.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تصدقوا ». قال رجل: عندي دينار. قال:« تَصَدَّقْ به على نفسك». قال: عندي دينار آخر. قال: « تَصَدَّقْ به على زوجك». قال: عندي دينار آخر. قال: « تَصَدَّقْ به على ولدك». قال: عندي دينار آخر. قال: « تَصَدَّقْ به على خادمك ». قال: عندي دينار آخر. قال: « أنتَ أبصر».

أخرجه: أبو داوود، والنسائي، وأحمد، بإسناد حسن.

وحذر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإنسانَ أنْ يُضيِّعَ مَن يَعُول :

عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كفى بالمرء إثمـًا أن يَحبِس عمن يملك قوتَه ». أخرجه: مسلم.

وورد بلفظ: « كفى بالمرء إثمـًا أن يُضيِّع مَن يقوتُ ». رواه أبو داوود، والنسائي، وأحمد، وهو حديث حسن. (١)

---

(١) وقد أجمع العلماء في مسألة نفقة الأولاد، قال ابن المنذر: (وأجمعَ كلُّ من نحفظ عنه من أهل العلم على أنَّ على المرءِ نفقةَ أولادِه الأطفال الذين لا مال لهم.
واختلفوا في وجوب نفقة البالغ الذي لا مال له منهم، ولا كسب يستغني به...) .

وكان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يعتني بقوت أولادِه وأهلِه لمدة سنة :

عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : « أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم». متفق عليه.

وحث صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إغناء الورثة بالمال :

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعودني وأنا مريض بمكة، فقلت: لي مال، أوصي بمالي كله؟ قال: «**لا**» قلت: فالشطر؟ قال: «**لا**» قلت: فالثلث؟ قال: « **الثُّلُثُ والثُّلُثُ كثير، أنْ تدَعَ ورثتَك أغنياءَ خيرٌ من أن تدعَهم عالَةً يتكففون الناس في أيديهم، ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها فِيْ فِيِّ امرأتك، ولعل اللهَ يرفعك، ينتفع بك ناس، ويضر بك آخرون** ». متفق عليه.

وحث صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النفقة واحتساب الأجر فيها :

عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **إذا أنفق المسلم نفقة على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة** ». متفق عليه.

وأمر بالإحسان إلى البنات، ورتَّب على ذلك أجراً عظيماً :

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **مَن عالَ جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو**» وضَمَّ أصابِعَه.

أخرجه: مسلم.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « مَن ابتُلي مِن هذه البنات بشَيءٍ ؛ كُنَّ له ستراً من النار». متفق عليه .

والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ، يحِبُّ أولادَه، ويسعى في مصلحتهم، والعناية بهم، ومن أعظم وجوه العناية: الإنفاق عليهم .

فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرَ أبٍ، وخيرَ زوج ، في رعايته وعنايته بآل بيته.

وإن كانت النفقة الواجبة على البنت بعد زواجها، تنتقل إلى زوجها؛ إلا أن الإحسان بالنفقة والهدايا لايقف، فكان يُحسن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بناته، ومثل هذا الموضوع يعلمه كل مسلم بيقين؛ لأنه أمر فطري، وشرعي، ولا تتوقف معرفته على المرويات الواردة في ذلك ، ومما ورد:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أُكيدَر دُوْمَةَ أهدَى إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوبَ حَرِير، فأعطَاه عليّاً، فقال: « شَقِّقْه خُمُراً بينَ الفَوَاطِمْ ».(١)

---

(١) الفواطم: جمع فاطمة، وهن : زوجته: فاطمة بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمه: فاطمة بنت أسد ، وابنة عمه: فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب، وامرأة أخيه عقيل بن أبي طالب: فاطمة بنت شيبة بن ربيعة. وقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة.

فائدة: ذكر اللغوي أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) الفواطم اللاتي يلينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرابة: فاطمة بنت سعد، أم قصي، وفاطمة بنت عمر بن جرول بن مالك أم أسد بن هاشم، و فاطمة بنت أسد بن هاشم، أم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وأمها: فاطمة بنت هَرْم بن رواحة، وفاطمة بنت رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

في رواية : « بيْنَ النِّسْوَة ».

أخرجه: البخاري ، ومسلم ـ واللفظ له ـ .

عند ابن أبي شيبة: قال علي: يا رسول الله: ما أصنعُ بها ألبسُها ؟ قال: « لا، إني لا أرضَى لك ما أكرَهُ لِنفسي، ولكِن اجعلْها خُمُراً [(١)] بين الفواطم ».

عند أحمد: كسَاني رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةً من حرير، فخرجتُ فيها ليرى الناسُ علي كسوةَ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « فرآني رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرني بنزعهما، فأرسلَ بإحداهما إلى فاطمة، وشق الأخرى بين نسائه ».

عند ابن أبي عاصم، وابن أبي الدنيا، والطحاوي، وابن عبدالبر، وغيرهم: قال علي: فشققتُ منها أربعة خُمر: خماراً لفاطمة بنت أسد بن هاشم ـ وهي أمُّ علي بن أبي طالب ـ ؛ وخماراً لفاطمة بنت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وخماراً لفاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب؛ وخماراً لفاطمة أخرى، قد نَسِيتُها. [(٢)]

والقائل: قد نسيتها، هو يزيد بن أبي زياد.

---

(١) جمع خمار: وهو ما تغطي به المرأة رأسها. ويُجمَع على: أَخْمِرَةٌ، وخُمْرٌ، وخُمُرٌ.

(٢) عند الطحاوي: أن الهدية من أمير أذربيجان. وعند ابن عبدالبر: أمير أذرعات.

ويُروى أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطعم فاطمةَ وعليًّا بخيبر من الشعير والتمر ثلاثمئة وسْق، الشعيرُ من ذلك خمسة وثمانون وسْقًا، لفاطمة من ذلك مئتا وَسْق ».[1]

أخرجه: ابن سعد، والبيهقي، وهو حديث ضعيف من الناحية الحديثية، لكن مما يُقبل في الروايات التاريخية.

ويُروَى أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبَه لها، قال: وعلى فاطمةَ ثوبٌ إذا قنَّعت به رأسها لم يَبْلُغ رِجْلَيها، وإذا غَطَّت به رجْلَيهَا لم يَبْلُغْ رأسَها، فلما رأى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تَلْقى قال: « **إنَّهُ ليس عليكِ بأسٌ، إنما هو أبوكِ وغُلامُكِ**».

أخرجه: أبو داوود، وغيره، وعند بعضهم: وهَبَ لها غلامين.

والحديثُ صحَّحَهُ بعضُ العلماء، والأقربُ ضَعفُه.

ويُروَى من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل من خيبر، ومعه غلامان، فقال علي: يا رسولَ الله، أخدمنا. فقال: « **خذ أيهما شئت**». قال: خِرْ لي. قال: « **خُذْ هذا ولا تضربه؛ فإني قد رأيتُه يصلي مقبلنا من خيبر، وإني قد نهيت عن ضَرب أهل الصلاة** ».

وأعطى أبا ذر غلامًا وقال: « **استوصِ به مَعروفًا** ». فأَعتَقَهُ، فقال له

---

(١) الوسق: ستون صاعًا بصاع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصاع قرابة: ٢،٥ كغ **فالمجموع لفاطمة قرابة ٣٠ ألف كلغ .**

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ما فعَلَ الغلامُ »؟ قال: يا رسولَ اللهِ، أمرتَني أن أستوصي به مَعرُوفًا؛ فأعتقتُه.

أخرجه: أحمد، وابنُ أبي شيبة، والبخاري في « الأدب المفرد »، وحسَّنَهُ بعضُ العلماء، وفيه ضَعف.

أما ما يُروى: لما نزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦] « دعا النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطِمةَ، وأعطَاها فَدَك».[(١)]

أخرجه: أبو يعلى، والبزار، وابنُ عدي، والحاكم، وغيرهم، فهو حَدِيثٌ مَكذُوبٌ، حَكَمَ عليه أئمةُ الحَدِيثِ بالوَضْعِ.[(٢)]

---

(١) فدَك = هي المسماة الآن بـ « الحائط »، تقع شرق خيبر، وشمال شرق المدينة النبوية بـ (٢١٦ كلم)، الخارج من المدينة يَمرُّ بـ: الملوي، ثم المرير، ثم بِدع بن خلف، ثم الحائط. قال عاتق البلادي: (بَلدةٌ عامِرَةٌ، كثيرة النخل، والزرع، والسكان، على ظهر الحرَّة، شرق خيبر، ماؤها إلى وادي الرمة، وتسمى اليوم «الحائط»، فيها إمارة، ومحكمة، ومدارس، وسكانها بنو رشيد، وطريقها إلى « المدينة » على طريق النُّخَيل والصويدرة، ثم المدينة. ولم يعد للسلطان ملك في أرض فدك، ولا لآل البيت، إنما هي مقسَّمةٌ بين السكان كأي قرية أخرى، وليس لدينا عِلمٌ متى صار ذلك، إلا أنه من المؤكد أن ذلك صار عند ضعف الدولة العباسية، فقد اضمحل سلطان الدولة، وتغلَّب الأقوياء على ما يستطيعون التغلب عليه. وهي اليوم في ديار بني رشيد بن هُتَيْم).

(٢) وما يُروى أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهدى ابنته فاطمةَ جارية تُسمى « فَضَّة النوبية »، فخَبرٌ مَكذوبٌ.

ثالثاً: قيامه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ عليها بالعدل .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ » ؟ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَاخْتَطَبَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

أخرجه: البخاري ، ومسلم ـ واللفظ له ـ .

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « وَاللهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » ، فَقُطِعَتْ.

أخرجه: مسلم .

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قامَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين أنزلَ

اللهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، قال: « يا معشر قريش ــ أو كلمةً نحوها ــ اشتَروا أنفسكم، لا أُغْنِي عنكم من اللَّهِ شيئًا، يا بني عبدِ مَناف لا أُغنِي عنكم من اللَّه شيئًا، يا عباسَ بنَ عبد المطلب لا أُغنِي عنك من اللَّهِ شيئًا، ويا صفيةَ عمَّةَ رسولِ اللَّهِ لا أُغني عنكِ من اللَّهِ شيئًا، ويا فاطمةَ بنتَ محمَّد سَلِيْنِي ما شِئتِ من مالي، لا أُغنِي عنكِ من اللهِ شَيئًا ».

متفق عليه ــ واللفظ للبخاري ــ .

وفي لفظ لمسلم: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ « يَا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا ».

دلَّت الأحاديث السابقة على قيام نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعدل الذي قامت عليه السماوات والأرض؛ امتثالاً لقول اللهِ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (سورة النحل، آية٩٠) ، فمَعَ حبِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنتِه فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأنها ابنته الصغرى، إلا أنه يُقسِم باللَّهِ ـ وهو الصَّادقُ

المَصدُوق ــ : « **أن فاطمة لو سرقَتْ لقطعتُ يدها** » ! قالها مبالغة في إثبات الحدود وتطبيقها.

فلا محاباة في دين اللَّهِ لأحد، والشرع يُطبَّقُ على الكبير والصغير، وبيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ سبب هلاك الأمم السابقة حينما ميزت الناس في تطبيق العدل، فيطبق على الوضيع، ويترك الشريف، ثم أقسم بقيامه على ابنته فاطمة بالعدل كغيرها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (وكان بنو مَخزوم من أشرف بطون قريش، واشتدَّ عليهم أنْ تُقطع يدُ امرأةٍ منهم، فبيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هلاك بني إسرائيل، إنما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات، وأخبر أنَّ فاطمة ابنته ــ التي هي أشرفُ النساء ــ لو سَرَقَتْ ــ وقد أعاذها اللَّهُ مِن ذلك ــ ، لقَطَعَ يدَهَا ؛ لِيُبَيِّنَ: أنَّ وجوبَ العدل والتعميم في الحدود، لا يُستثنى منه بنتُ الرسول، فضلاً عن بنتِ غيره).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : (وإنما خَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمةَ ابنتَه بالذِّكر؛ لأنها أعزُّ أهلِه عندَه ، ولأنه لم يبقَ من بنَاتِه حينئذٍ غيرُها [(١)] ، فأراد المبالغة في إثبات إقامةِ الحَدِّ على كلِّ مُكلَّفٍ، وتَركِ المحابَاةِ في ذلك؛ ولأن

---

(١) يُشكل عليه أنَّ أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا توفيت في شعبان ، سنة (٩ هـ)، كما في ترجمتها: « سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٥٣)، « الإصابة» (٨/ ٤٦٠)، والمرأة المخزومية سَرقَت عام الفتح (٨ هـ) .

اسم السارقة وافَقَ اسمَها عَلَيْهَا السَّلَامُ ؛ فناسَب أن يَضرِبَ المثلَ بها).

قال أبو زرعة أحمد ابنُ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والظاهرُ أنَّ ذِكر فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا دون غيرها؛ لأنها أفضل نساء زمانها، فهي غايةٌ في النساء لا شيءَ بعدها، فلا يحصل تأكيد المبالغة إلا بذكرِها، وانضمَّ إلى هذا أنها عضوٌ من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومع ذلك فلم يحمله ذلك على محاباتها في الحقِّ.

وفيها شيء آخر وهو : أنها مشارِكةٌ لهذه المرأة في الاسم، فينتقل اللفظُ والذِّهْنُ من إحداهما إلى الأخرى، وإن تبايَن ما بين المحَلَّيْن) . (١)

قلتُ: وثَمَّةَ احتِمَالٌ أراه قريبًا، وهو:

أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر فاطمة مع وجود أم كلثوم ـ دون رقية وزينب لأنهما تُوفِّيَا قَبلُ ـ ، كما ذكرها من قبل في « مكة» لما نادى على الصفا ـ في حياة جميعِ بناته ـ ، والسبب في تخصيصها؛ لأنها أصغرُ أولاده؛ وللصغيرِ شَفَقةٌ ورَحمةٌ خاصة، وربما كان ذلك من عادة العرب في تخصيص الصغيرِ من الأولاد، في مثل هذه المواقف ـ واللهُ أعلم ـ .

فإن صحَّ هذا الاحتمال فهو مما يُقوِّي القول المرجَّح سابقًا أنَّ فاطِمةَ أصغرُ بناتِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهو قول الجمهور كما سبق ـ والله أعلم.

وفي الحديث الأخير بَيَّنَ لها أنه لن يغني عنها من اللَّهِ شيئًا، فعليها

---

(١) « طرح التثريب».

أن تتقي اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، ولا تتَّكِل على قُربِها من والدها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

(١) قال الشيخ الإمام: محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «التوحيد»: (قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئًا» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من اللَّهِ شيئًا». فإذا صرَّحَ وهُوَ سيِّدُ المرسلين بأنه لا يُغنِي شيئًا عن سيِّدةِ نساء العالمين، وآمَنَ الإنسانُ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقولُ إلا الحق، ثم نظَرَ فيما وقعَ في قلوبِ خواصِّ الناسِ اليوم، تبيَّن له التوحيدُ وغُربَةُ الدِّين).

علَّقَ الشيخ الإمام: محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٠٤) بقوله: (صدقَ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما قال ؛ فإنه إذا كان هذا القائل سيِّد المرسلين، وقاله لسيدة نساء العالمين، ثم نحن نؤمن أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقول إلا الحق، وأنه لا يُغني عن ابنته شيئًا ؛ تبيَّن لنا الآن أنَّ ما يفعلُه خواصُّ الناس ترك للتوحيد؛ لأنه يوجد أناسٌ خواصٌّ يرون أنفسَهم علماءَ، ويراهم مَن حولهم علماءَ وأهلاً للتقليد، يَدْعُون الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكشف الضرِّ، وجلبِ النفع، دعوةً صريحةً، ويردِّدُونَ:

يا أكرمَ الخلقِ ما لي مَن ألوذُ بِهِ * سِواكَ عندَ حُلُولِ الحادِثِ العَمِمِ !!

وغير ذلك من الشِّرْكِ، وإذا أُنكِرَ عليهم ذلك، ردُّوا على المنكِرِ بأنه لا يَعْرِفُ حقَّ الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقامَه عندَ الله، وأنه سيِّد الكونِ، وما خُلِقَتْ الجنُّ والإنسُ إلا مِن أجلِهِ!! وأنه خُلِقَ من نُورِ العرش !! ويُلَبِّسُونَ بذلكَ على العَامَّةِ، فيُصَدِّقُهُم البعضُ لجَهْلِهِم، ولو جاءَهم مَن يدعوهُم إلى التوحيد، لم يستجيبوا له؛ لأنَّ سيِّدَهُم وعالمهَم على خلافِ التوحيد ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾

(سورة البقرة، آية ١٤٥)

ثم إن المؤمنَ عاطفتُه وميلُه للرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرٌ لا يُنكَر، لكنَّ الإنسانَ لا ينبَغِي له أنْ يُحَكِّم العاطفة، بل يجبُ عليه أنْ يتَّبِعَ ما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ، وأيَّدَهُ العقلُ الصريحُ السالمُ من الشبهات والشهوات.

وقد أمرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعدل بين الأولاد :

فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ وهو على المنبر ـ يقول: أعطاني أبي عَطِيَّةً، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهدَ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتى رسولَ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني أعطيتُ ابني مِن عمرةَ بنتِ رواحة عَطِيَّةً، فأمرَتْني أنْ أُشهِدَكَ يا رسولَ اللَّهِ، قال: « **أعطيتَ سائرَ ولَدِكَ مِثلَ هذا**»؟، قال: لا، قال: « **فاتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا بين أولادِكُم**»، قال: فرجع فرَدَّ عطيته. أخرجه: البخاري ـ واللفظ له ـ، ومسلم .

ورَسولُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامُ المتقين، وإمامُ العادلين ، لما قسَمَ غنائم حُنين، قال له ذو الخويصرة التميمي : يا رسولَ اللَّهِ، اعدِلْ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **ويلك ! ومَن يعدِلْ إذا لم أعدِلْ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل** ». متفق عليه.

ولما أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه ممن لم يَسُقِ الهدي في حجة الوداع أن يحلُّوا، ويجعلوها عمرة، فتباطؤوا ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **قد علمتم أني**

ولهذا نعى اللَّهُ ـ سبحانه ـ على الكفار الذين اتَّبَعُوا مَا أَلِفُوا عليه آباءَهم بأنَّهُم لا يَعْقِلُون، وكلامُ المؤلِّفِ حَقٌّ؛ فإنَّ مَنْ تأمَّل ما عليه الناسُ اليومَ في كثيرٍ من البلدان الإسلامية؛ تَبيَّنَ لهُ تركُ التوحِيدِ، وغُرْبَةُ الدِّينِ).

وانظر كلاماً جميلاً على الحديث في : « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» للشيخ المحدِّث: سليمان بن عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب (١/ ٥٤٧).

أتقاكُم للهِ، وأصدَقُكم، وأبرُّكم، ولولا هَدْيي لَحللتُ كما تحلُّون، فحُلُّوا، فلو استقبلتُ من أمري ما استدبَرتُ ما أهدَيْتُ ». قال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فحلَلْنا وسمعنا وأطعنا . متفق عليه.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما سأله عن القُبْلَة للصائم : «...أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له ». رواه مسلم .

رابعاً : محبته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لها، واحتفاؤه[1] بها .

عن أسامة بن زيد، قال: مررت بعلي والعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ـ وهما قاعدان في المسجد ـ فقالا: يا أسامة استأذن لنا على رسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول اللَّهِ ، هذا علي والعباس يستأذنان فقال: « أتدري ما جاء بهما » ؟ قلت: لا واللَّهِ ما أدري.

قال: « لكني أدري ما جاء بهما » . قال: فأذَنْ لهما . فدخَلا فسلَّمَا ثمَّ قعَدَا، فقالا: يا رسول اللهِ ، أيُّ أهلِكَ أحبُّ إليكَ ؟ قال: « فاطمة بنت محمد » .

أخرجه: أبو داوود الطيالسي ــ وهذا لفظه ــ ، والترمذي، والطبراني، وغيرهم. وهو حَديثٌ حسَن.

---

(١) الاحتفاء: المبالغة في البِرِّ والإكرام، والسؤال عن الحال، وإظهار الفرح والسرور.

سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيُّ النَّاسِ كان أحبَّ إلى رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: « فاطمة»، فقيل: مِن الرجال؟ قالت: « زوجها، إنْ كانَ ما علِمتُ صوَّامًا قوَّامًا » .

أخرجه: الترمذي، والطبراني، والحاكم، وغيرهم، وهو حديث حسن .

عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: « كان أحبُّ الناسِ إلى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النساء فاطمة، ومِن الرجال علي ».

أخرجه: الترمذي، والنسائي ـ وهذا لفظه ـ وإسناده حسن .

أما حديث علي: خطبتُ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة، فزوَّجني فقلت: يا رسولَ اللهِ أنا أحبُّ إليك أم هي؟ فقال: « هي أحبُّ إليَّ مِنك، وأنتَ أعزُّ عليَّ منها ». عند النسائي، وغيره، فحديث ضعيف .

عَنْ مَسْرُوقٍ، قال: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: « مَرْحَبًا بِابْنَتِي » ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ.... الحديث. أخرجاه في « الصحيحين».

وفي « السنن» : عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّه فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» قَالَتْ: «وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا .... الحديث.

أما ما ورد من أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سافر كان آخرُ عهده بإنسان من أهله فاطمة، فقد جاء من حديث ثوبان مولى رسول اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان رسولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سَافرَ كانَ آخرُ عهدِه بإنسان من أهلِه فاطِمةَ، وأوَّل مَن يدخلُ علَيه إذا قدِم فاطمة.

قال: فقَدِم مِن غَزاة له فأتاها، فإذا هو بمِسْحٍ على بَابها، ورأى على الحسَن والحُسين قُلْبَيْن[1] من فضَّة، فرجَعَ ولمْ يدخُلْ علَيها.

فلمَّا رأتْ ذلك فاطمةُ ظنَّت أنَّه لم يدخُل عليها مِن أجْلِ ما رأى، فهَتَكَتْ السِّتْرَ، ونَزعَتْ القُلْبَين مِن الصَبِيَّيْن فقطَعَتْهُما، فبَكَى الصبيَّان فقسَّمَتْه بينَهُما، فانطَلَقا إلى رسولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُمَا يبكيان، فأخذَه رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهما، فقال: «**يا ثوبان، اذهَبْ بهذا إلى بَني فلان** ـ أهل بيت بالمدينة ـ، **واشتَرِ لفاطمةَ قِلادةً من عَصَبٍ**[2]، **وسِوَارَيْنِ من**

---

(١) مفردها: قُلْب وهو السِّوار، ويقال: سِوارٌ بلا نَقْش.

(٢) خرَز يُنظَم من عظامِ حيوانٍ طاهر، تُتَّخذ قلادة، وقيل: سِنٌّ حيوان بحري يُتَّخذُ منه الخرَز.

عَاج؛ فإنَّ هؤلاء أهلُ بيتي، ولا أُحِبُّ أن يأكلوا طيِّبَاتِهِم في حياتهم الدُّنيَا ».

أخرجه: أحمد، ومسدد، وغيرهما، وهو ضعيف جدّاً، وله شواهد كلها ضعيفة.

وجاء أنه قلَّما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل المدينةَ إلا بدأَ بها.

أخرجه: أحمد، وابنُ أبي شيبة، وأبو داوود، وغيرُهم.

وهو مُستَنكر: كيف يُفضِّلُ فاطمةَ على أخواتها ؟ وإن كان بعد وفاة أم كلثوم (ت شعبان ٩هـ) فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يغادر المدينة إلا إلى حجة الوداع، وكانت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا معه ، فالأظهر عدم صحة شيء من هذه الأحاديث.

أما ما يُروَى أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا قدِم من مَغازيه قبَّل فاطمة. فلا يَصِح.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أتى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيتَ فاطمة، فلم يدخل عليها، وجاء عليٌّ، فذكَرَتْ له ذلك، فذكَرَهُ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إني رأيتُ على بابِها ستراً مُوشياً »[١]، فقال: « ما لي وللدنيا ».[٢]

---

(١) المُخطَّط بألوان شتى.

(٢) قال ابن حجر : (قال المهلب وغيره: كرِه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنته ما كَرِهَ لنفسه من تعجيل الطيبات في الدنيا، لا أنَّ ستر الباب حرام، وهو نظير قوله لها لما سألته خادماً: ألا أدلُّكِ على خيرٍ من ذلك، فعلَّمَهَا الذِّكْرَ عند النوم).

فأتاها عليٌّ، فذكر ذلك لها، فقالت: ليأمرني فيه بما شاء، قال: « تُرسِلْ به إلى فلان، أهلِ بيت بهم حاجة ». أخرجه: البخاري.

ومسألة محبَّة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لابنته فاطمة لا تحتاج إلى دليلٍ، ولا تأمُّلٍ، وإنما ورد إشكال في كونها أحب الناس إلى أبيها، أم غيرها مما ورد فيه نص.

فقد ورد أنَّ أسامةَ بنَ زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أحبُّ الناسِ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وورَدَ أنَّ أبا بكر أحبُّ الناسِ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وورد كذلك في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

والظاهر ــ واللَّهُ أعلم ــ أنَّ الاختلاف باختلاف جِهة المحبة، فكون علي بن أبي طالب أحبَّ الرجال إليه أي من آل بيته، وعائشة من زوجاته، وفاطمة من النساء مطلقًا، ومحبَّتُها جوابًا لمن سأل بعد وفاة بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يظهر ــ كما سيأتي بعد قليل ــ .

ومن الأدلة على محبتها مطلقًا: حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا فاطمة، واللَّهِ ما رأيتُ أحداً أحبَّ إلى رسُولِ اللَّه منكِ .... الحديث .

ومَحبةُ أسامة بن زيد من بين المَوالي، ويُحمَل قولُه: أحبُّ الناس على التبعيض أي: مِن أحبِّ الناس، كما في الرواية الأخرى، ولاشَكَّ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبُّ ابنته فاطمة أكثرَ من أي رجُل آخَر، أسامةَ وغيرَه.

ومحبتُه للأنصار من بين القبائل، ومحبته لأبي بكر من بين الرجال مطلقًا.

ولكلٍّ محبةٌ تناسب مكانته، وتناسب العلاقة بينه وبين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أما ما ورد من حديث عائشة في قصة مجيء زيد بن حارثة بزينب بنت رسولِ اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة، وفي آخره : قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هيَ أفضلُ بنَاتي أُصيبَتْ فِيَّ ».

أخرجه: البخاري في « التاريخ الأوسط»، والبزَّار، والطحاوي، والطبراني، والحاكم، وغيرهم، وقد حسَّنَه بعضُ أهل العلم .

فقد حمله العلماء كابن خزيمة والحاكم على تقدير: مِن أفضل بناتي.

وقيل: كان هذا التفضيل متقدمًا ، ثم وهبَ اللَّهُ لفاطمة من الأحوال السَّنِيَّة والكمالِ ما لم يشاركها أحدٌ من نساء هذه الأمة مطلقًا، ذكره ابن حجر في « الفتح».

أما بعد

فلا يَشكُّ عَاقلٌ بمحبَّةِ المرءِ لأولادِه وشفقتِه عليهم، والبناتُ لهن درجةٌ على البنين مِن جهةِ الرحمة بهن، والصغيرُ من الأولاد لَهُ درجةٌ أخرى، فإن كان الولد ذكرَاً أو أنثى يتيم الأم ، كان له درجات في الرحمة والحنو ، والمحبة والعطف.

إنَّ محبةَ المرءِ لأولادِه أمرٌ فِطرِيٌّ لا يُمكن دفعُه، وقد اجتمعَ لبناتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبوةٌ ونُبوَّةٌ، فلهُنَّ الرحمةُ الخاصةُ وهُو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة، ١٢٨)

فلبناتِه المحبةُ والاحتفاءُ الخاصَّين، وتزدادُ المحبة والرحمةُ بأسباب شرعية وقدرية، فبنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصةً أم كلثوم وفاطمة ، نشأوا أيتاماً أو شبه أيتامٍ من قبل الأم، وأصغرهن: فاطمة، ولم يكن لهما من قبل عماتهما وخالاتهما مَن يعطف عليهما، وتنشآن في حنانها، فلم يكن لهما ـ بعدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلا والدُهما صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إنَّ المحبة تزداد لفاطمة بعد فقدها أخواتها كلها واحدة تلو الأخرى، فبقيت وحيدة مع والدِها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجِها من شهر شعبان سنة (٩ هـ) إلى وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر ربيع الأول (١١هـ).

قبل تلك الفترة، لم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرِّق بين بناته في المحبة والاحتفاء، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتقى الناس لربِّه، وأعدَلُهم، وقد أمرَ بالعدل بين الأولاد ـ وسبق بيان ذلك ـ .

فالأحاديثُ الدالَّةُ على اختصاصِ فاطمةَ بشَيءٍ مِن المحبَّةِ والاحتفاءِ والفضلِ إنما وردَتْ بعدَ وفاةِ أخواتِها، وتفرُّدِها عنهم، وذلك بعد (شعبان ٩ هـ).

فقد تُوفيت:

١. **رقية** رضي الله عنها، زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه، سنة (٢ هـ)، والمسلمون في بدر.

٢. **زينب** رضي الله عنها زوج ابن خالتها: أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه، أول سنة (٨ هـ).

٣. **أم كلثوم** رضي الله عنها، زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد موت رقية، في شعبان سنة (٩ هـ).

فقولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لفاطمةَ: سيِّدةُ نساء أهل الجنة، وفاطمةُ بَضعة منِّي يُريبني ما يُريبُها،[1] وحديثُ رجوعه من غزوة تبوك - على فرض صحته - وأنه ابتدأ بفاطمة، إنما كان ذلك كله بعد (شهر شعبان، من السنة التاسعة)، بعد ما انفردت فاطمة بوفاة أخواتها كلهن.

هذا في إظهار المحبة الخاصة بفاطمة، والاحتفاء الخاص بها عن بقية أخواتها رضي الله عنهن، **أما الإشارة إليها، فقد ورَدَتْ في حديثين:**

---

(١) خِطبة عليٍّ ابنةَ أبي جهل كان بعد شعبان (سنة ٩هـ).

١. قوله: « لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ».[1]

٢. وحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة أول الإسلام حين نادى على الصفا: « يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من اللَّـهِ شيئًا.... يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي لا أُغني عنكِ من اللَّهِ شيئًا ».

خصَّها هنا ربما لأنها أصغر بناته، والأصغرُ لها عَطفٌ خاص، والرحمة بها أشد، وذكرها لتأثير البيان عن مسؤولية الإنسان عن نفسه، (وأن النيابة لا تدخل في أعمال البر؛ إذْ لو جاز ذلك لكان يتحمل عنها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يخلِّصها، فإذا كان عملُه لا يقع نيابة عن ابنته فغيره أولى بالمنع). كما في « الفتح»

وكانت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِن أعزِّ الناس عنده، وفي حديث إرسال حِزبِ أم سلمة فاطمةَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألنه العدلَ في ابنةِ أبي قُحافة... الحديث. ذكر ابن حجر من فوائده: (ما كان عليه أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مهابته والحياء منه، حتَّى راسلْنَهُ بأعَزِّ الناسِ عندَه: فاطمة...).

---

(١) قال ذلك بعد غزوة الفتح، سنة (٨ هـ) ، وذكر ابن حجر في « الفتح» أنه خصها بالذكر؛ لأنها أعزُّ أهلِه عندَه، ولم يبقَ من بناته غيرُها.

قلت: وأم كلثوم ـ كما سبق ـ توفيت في شعبان سنة (٩ هـ) .

وقد ذكرت د. عائشة بنت الشاطئ رَحِمَهَاٱللَّهُ تساؤلاً يَرِدُ كثيراً :

لِـمَ استأثَرَتْ فاطمةُ بهذه المكانة الخاصةِ عند أبيها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؟

وذكَرَتْ أنَّ جواب المستشرقين بأن هذه من اختراعات الشيعة بأَخَرَة، ثم ذهبَتْ تردُّ عليهم، ومِن قولها: (المكانةُ الخاصة لفاطمة عند أبيها لم تُنقِصْ حُبَّهُ لأخواتها الثلاث، وأنَّ حظَّ فاطمةَ مِنْ حُبِّ أبيها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد ازداد بعد موتِ هؤلاء الأخوات، ثم تضاعف بمَولِدِ الحسنين[1]، وانحصار ذريته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في نسل هذه الابنة الوحيدة التي بَقيَتْ له).

وذكر الأديب العقَّاد رَحِمَهُٱللَّهُ أنَّ : (الحنَان على الصُّغْرى من الذرية بعد فراق الأمِّ، والذُّرِّيةِ كلِّها بالموتِ أو بالرِّحْلَةِ ، وفِراق البلَدِ الذي نشَأَتْ فيه؛ حَنَانٌ ـ لَعَمْرُ الحقِّ ـ صَابِرٌ حَزِينٌ.

ولقَدْ نَعِمَتْ فاطمةُ بهذا الحنَانِ مِن قَلْبَينِ كَبيرَيْنِ: حَنَانٌ أحرَى به أنْ يُعلِّمَ الوَقَارَ، ولا يُعلِّم الخِفَّة والمرَحَ والانطِلَاقَ). ا.هـ . بتصرُّف .

---

(١) مَولد الحَسَنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، جاء في حياة بنات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا رقية، وليس بعد وفاتهن، أما انحصار الذرية، فربما بعد وفاة أخواتها،..... وثمَّة أمامة بنت زينب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ .

الاحتفاء:

حديث عائشة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمة: مَرحبًا، وأجلَسها بجواره، وفي «السنن»: إذا دخلَتْ عليه قامَ إليها وقبَّلها وأجلَسَها في مجلسِه، وهي تفعلُ مثلَه إذا قَدِم عليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما البدءُ بها أوَّل ما يقدم المدينة، فالأرجح ضعف الأحاديث الواردة في ذلك.

ولا يُستبعَد بدؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمسجد، ثم بناته فاطمة، وزينب، وأم كلثوم، ثم أزواجه، لكن تخصيص فاطمة بالذكر دون أخواتها مع ما يتضمن من التفضيل، هذا مرجح من مرجحات ضعف الأحاديث الواردة، زيادةً على ضعف أسانيدها.

خامساً: الزيارة بين فاطمة و أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

* **زيارتها** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متكررة، خاصة وأنها بجوار بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، من ذلك:

زيارتها له في مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينما أسرَّ لها بقرب أجله..

وزيارتها إياه مع إطعامه كما في حديث الكساء من رواية أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وثَمَّةَ أحاديثُ كثيرةٌ في الزيارة، منها الصحيح ومنها دون ذلك، وكثرة الزيارة بينهما مع الإطعام، لا تحتاج إلى مرويات؛ لليقين بها .

رُوي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ جاءت بكِسرة خُبْزٍ إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: « **ما هذه الكسرة يا فاطمة** »؟ قالت: قُرصٌ خبَزتُه، فَلَمْ تَطِبْ نفْسِي حتَّى أتيتُكَ بهذهِ الكِسْرَةِ، فقال: « **أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام** » .

رواه: ابنُ سعد ـ واللفظ له ـ، وأحمد، وغيرهم، وهو حديث ضعيف.

❋ **زيارته** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خَرجتُ مع رسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طائفةٍ من النهار، لا يُكلِّمُني ولا أكلِّمُه، حتى جاء سُوقَ بني قَيْنُقَاع، ثم انصرفَ، حتى أتى خِبَاء(١) فاطمة فقال: « **أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ** » ؟ (٢) يعني حسَنًا فظَنَنَّا أنه إنما تحْبِسُهُ أمُّه لأن تغسِلَه وتُلبِسَه سِخَاباً (٣) ، فلم يلبَث أنْ جاء يَسعى، حتى اعتنقَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، فقال رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اللهمَّ إني أُحِبُّه، فأَحِبَّه، وأحبِبْ مَنْ يُحِبُّه** ».

متفق عليه ـ واللفظ لمسلم ـ .

---

(١) أي منزلها، وحجرتها.

(٢) المراد به هنا: الصغير، سمَّاه لُكَعًا لِصِباه وصِغَره.

(٣) خيط يُنظم فيه خرَز، للصبيان والجواري.

في لفظ للبخاري: كنتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُوق من أسواق المدينة، فانصرفَ فانصرفتُ، فقال: « أينَ لُكَعُ ؟ ـ ثلاثًا ـ ادْعُ الحسنَ بنَ علي ». فقام الحسن بنُ علي يمشي وفي عنقه السخاب، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه فقال: « اللهم إني أحبُّه فأحبَّه، وأحبَّ من يحبُّه ».

وقال أبو هريرة: فما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من الحسنِ بنِ علي، بعدما قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَه وفاطمةَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بنتَ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم: « ألا تُصلُّون » ؟

فقال علي: فقلت: يا رسولَ اللّهِ، إنما أنفسنا بيد اللهِ، فإذا شاءَ أن يبعثَنا بعَثَنا، فانصرفَ رسولُ اللّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال له ذلك، ولم يرجع إليه شيئًا، ثم سمِعَهُ وهو مُدبِر، يضربُ فخذَه وهو يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (سورة الكهف، آية ٥٤). أخرجه: البخاري ومسلم.

وعند أحمد، والنسائي، وأبي يعلى ـ بإسناد حَسَنٍ ـ: دخل عليَّ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلَى فاطمةَ من الليل، فأيقظَنا للصلاة، قال: ثم رجَعَ إلى بيتِه، فَصلَّى هويًا (١) من الليل، قال: فلم يسمعْ لنا حِسًّا، قال:

(١) الهَوي بالفتح: الحين الطويل من الزمان. وقيل: هو مختص بالليل. وهَوِيٌّ، كَغَنِيٍّ ويُضَمُّ، وتَهْواءٌ من اللَّيْلِ: ساعَةٌ.

فرجع إلينا، فأيقظنا وقال: «قُومَا فصَلِّيا». قال: فجلستُ وأنا أعركُ عيني، وأقول: إنَّا واللهِ ما نُصلِّي إلا ما كُتِبَ لنا، إنما أنفسنا بيدِ اللَّهِ، فإذا شاء أنْ يبعثَنا بعثَنَا. قال: فولَّى رسولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول، ويَضرِب بيده على فخذه: «ما نصلي إلا ما كُتِبَ لنا، مَا نُصَلِّي إلا ما كُتِبَ لنا !! وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدَلاً».

كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتنيًا بأولاده، مع محبته لهم، ومن مظاهر العناية : زيارتهم، وتفقد أحوالهم، وهذا يدل أيضًا على بشرية النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمحبته ورعايته أولاده، ويدل على كمال خُلُقه ، فلم تكن النبوةُ ومهمامُّها، وما يواجهُه من الأذى والمصائب حائلةً دون رعايته لأولاده، وزيارتهم، وتفقدهم، وفي هذا الموضع ما يخص فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، وكما قلتُ من قبل: لم يكن يخصها بشَيءٍ من الزيارة والاحتفاء في حياة أخواتها، فهو إمام العادلين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

إن تفرد فاطمة في آخر حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بموت أخواتها كلها، يدعو والدَها النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تكرار الزيارة والإيناس، خاصةً مع قُرْب بيتها، فهو مجاور لبيت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من جهة الشمال ــ كما سبق بيانه ــ .

ومما يدلُّ على عِنايته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيارتِه ابنتَه فاطمةَ في بيتها ـ زيادةً على ماسبق ـ أحاديثُ كثيرة، دالَّةٌ على ذلك، منها: حديثُ

سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيتَ فاطمة فلمْ يجِدْ عليًّا في البيت، فقال: «أينَ ابنُ عمِّك»؟ قالت فاطمة: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضَبَنِي، فخرج،...وقوله: «قُمْ أبا تُراب، قُمْ أبا تُراب».

متفق عليه.

وحديثُ طلبِها الخادم، ثم مجيئ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها في بيتها.

متفق عليه.

وحديثُ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها مرةً فأكل عندها مما مسَّتْهُ النارُ، ولم يتوضأ.

أخرجه: أحمد، وابن أبي أسامة، وأبو يعلى، وغيرهم. وهو ضعيف.

وحديث سهل بن سعدٍ: أن عليَّ بن أبي طالب دَخَلَ على فاطمةَ، وحسنٌ وحسينٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبكيان، فقال: ما يُبْكيهما؟ قالت: الجوعُ، فخرج عليٌّ، فوجد ديناراً بالسُّوق،.... وفيه زيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما.

أخرجه: أبو داوود، والطبراني، والبيهقي، وغيرهم، وهو حديث حسن لغيره.

فالأحاديث كثيرةٌ جداً، والزيارة لأغراض شتَّى معلومة، منها:

الإيناس وتفقد الحال، وما يصحبه من مداعبة الأولاد.

ومنها: إجابة لها بعد أن جاءت تبحث عنه ولم تجده ــ كما في حديث طلب الخادم ــ.

ومنها: أحاديث للتعليم والتربية ـ كما في حثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمةَ وعليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على صلاة الليل ـ .

ومنها: مجيئه لعيادتها ـ وهي مريضة ـ ، لكن الأحاديث المروية التي أمكن الوقوف عليها: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عادها ومعه أصحابه ـ ضعيفة ـ .

سادساً : غيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليها .

كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغارُ على بناتِه كلِّهم، وإنما ورد النصُّ على فاطمة في الحديث؛ لأنَّ عليًّا خَطب عليها، فتكلَّم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووَقْتُ كلامِه لم يَكُن بَقِي من بناته إلا فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فإنَّ الخِطبَة والخُطبةَ كانت بعد شعبان، سنة (٩ هـ) .

عن المِسْوَر بنِ مَخرمَةَ، قال: إنَّ عليًا خطبَ بنتَ أبي جَهْل فسَمِعَتْ بذلك فاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأتَتْ رسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت: يَزعُم قومُكَ أنَّك لا تَغْضَبُ لِبنَاتِكَ، وهذا عليٌّ ناكح بنتَ أبي جهل، فقام رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمعتُه حين تَشهَّد، يقول: « **أما بعد، أنكحتُ أبا العاص بنَ الربيع، فحَدَّثَني وصدَقَني، وإنَّ فاطمةَ بَضْعةٌ مِنِّي**(١)**، وإني أكرَهُ**

---

(١) البَضعة: القطعة من اللحم، ومُرادُ الرسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها جزءٌ منِّي، كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم.

أن يسُوءَها، و اللَّهِ لا تَجتَمِعُ بنتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وبنتُ عدوِّ اللَّهِ عندَ رجُلٍ واحِد » . فترَكَ عليٌّ الخِطْبَة.

وزاد محمد بنُ عَمْرِو بن حَلْحَلَة، عن ابن شِهاب، عن علي بن الحسين، عن مِسْور سمعتُ النبيَّ ﷺ وذكر صهراً له من بني عبدِ شَمْس، فأثنَى عليه في مُصَاهَرَتِه إيَّاه فأحسن، قال: « حدَّثَنِي فصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوفَى لي». متفق عليه ـ واللفظ للبخاري ـ.

وفي لفظ للبخاري: « فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فمَن أغضبَها أغضبَنِي ».

وفي لفظ لمسلم: « إنما فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤذيني ما آذاها ».

ولهما : « إنَّ بني هشام بن المغيرة [١] استأذنوني أن ينكحوا ابنتَهم عليَّ بنَ أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يُحبَّ ابنُ أبي طالب أن يطلِّق ابنتي وينكح ابنتَهم، فإنما ابنتي بَضْعَةٌ مني، يَريبني ما رابها، ويُؤذيني ما آذاها ».

لفظُ مسلم، والبخاري بمثله إلا أنه قال: إلا أن يريد أن يُطلِّق... وقال: أَرَابَها.

ولهما ـ أيضاً ـ : قال: « إنَّ فاطمة منِّي، وإني أتخوَّف أن تُفتَنَ في دينها». [٢]

(١) هو الحارث بن هشام.

(٢) المعنى كما قال ابن حجر: لا تصبر على الغَيرة فيقع منها في حقِّ زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدِّين.

ثمَّ ذكرَ صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إيَّاه فأحسن، قال: «حدَّثني فصدَقَني، ووعدَني فأوْفَى لي، وإني لستُ أحرِّم حلالاً، ولا أُحِلُّ حرَامًا، ولكِنْ واللَّهِ لا تجتمعُ بنتُ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبنتُ عدوِّ اللَّهِ مَكانًا واحِدًا أبداً».

والمرأة التي خطبَها عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هي جُويريةُ بنتُ أبي جهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ويقال: العوراءُ بنتُ أبي جهل ـ والعورَاءُ لقبُها ـ، فترك الخِطبة.(١)

بوَّب البخاري في «صحيحه» على الحديث في كتاب النكاح: باب ذبِّ الرجل عن ابنته في الغَيرَة والإنصاف.

وقد روي أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغار لبناته غيرة شديدة، قال ابن إسحاق: (حدثني مَن لا أتَّهِم أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يغارُ لبناتِه غَيْرَةً شَدِيدة، وكان لا يُنكِح بناتِه على ضَرَّة).

وما دام أنَّ الضرَّةَ على بناته تؤذي ابنتَه، فإنه يَتأذَّى مما تتأذَّى منه بناتُه، لذلك يَخشى عليهن، ويكرَه مَسَاءَتَهُنَّ، مع تَصريحِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه لا يُحرِّمُ حَلَالاً.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال العلماءُ في هذا الحديث: تحريم إيذاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلِّ حالٍ، وعلى كلِّ وجْهٍ، وإن تولَّد ذلك الإيذاءُ مما كان أصلُه مباحًا وهو حيٌّ، وهذا بخلاف غيره.

---

(١) تزوَّجَها عتَّابُ بن أَسِيد أميرُ مكة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فولدَتْ له عبدَالرحمن، فقُتِل يوم الجمل.

قالوا: وقد أعلمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإباحة نكاحِ بنتِ أبي جهل لعليٍّ بقولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَسْتُ أُحرِّم حلالاً». ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلَّتَين منصوصتين:

إحداهما: أن ذلك يؤدِّي إلى أذى فاطمة؛ فيتأذَّى حينئذ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيهلَك مَن آذاه، فنهى عن ذلك، لِكمال شفَقتِه على عَلِيٍّ، وعلَى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها؛ بسبب الغَيرة.[١]

وقيل: ليس المراد به النهي عن جمعهما، بل معناه: أعلمُ مِن فَضْلِ اللَّهِ أنهما لا تجتمعان، كما قال أنس بن النَّضْر: «واللَّهِ لا تُكسَرُ ثَنِيَّة الرُّبَيِّع».

ويُحتَمَلُ أن المراد تحريم جمعهما، ويكون معنى: «لا أحرِّمُ حلالاً» أي: لا أقولُ شيئًا يخالِفُ حُكمَ اللَّهِ، فإذا أحلَّ شيئًا، لمْ أحرِّمْهُ، وإذا حرَّمَهُ، لم أحَلِّلْهُ، ولم أسكُتْ عن تحريمه؛ لأن سكوتي تحليلٌ له؛ ويكون من جملة محرمات النكاح: الجمعُ بين بنتِ نبيِّ اللَّهِ، وبنتِ عَدوِّ اللَّهِ).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن التين: أصحُّ ما تُحمَلُ عليه هذه القصة أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرَّم علَى علِيٍّ أن يجمعَ بين ابنتِه، وبين ابنة

---

(١) عبارة القاضي عياض: كراهة فتنتها في دينها؛ لفرط ما تحملها الغيرة عليه، وعداوة بنت عدو أبيها ومشاركتها لها.

أبي جهل؛ لأنه علَّل بأن ذلك يؤذيه، وأذيتُه حرامٌ بالاتفاق.

ومعنى قوله: « لا أُحرِّم حلالاً »: أي هي له حلال، لو لم تكن عنده فاطمة.

وأما الجمع بينهما الذي يستلزم تأذي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتأذي فاطمة به؛ فلا.

وزعم غيرُه أنَّ السياق يُشعر بأن ذلك مُباحٌ لعلي، لكنه منعَه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِعايةً لخاطرِ فاطمة، وقَبِلَ هو ذلك؛ امتثالاً لأمرِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والذي يظهر لي أنه لا يبْعُد أنْ يُعَدَّ في خصائصِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يُتزوَّج على بناتِه، ويُحتمَل أن يكون ذلك خاصًّا بفاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ).

قلت: هل يُمكِنُ القولُ بأنَّ المسألةَ خَرَجَتْ من الحُكْم الشرعي واحتماليةِ التحريم، لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا أُحرِّم حلالاً...»، وخَرجَتْ من دعوى الخصوصيةِ، لِذِكرِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ ـ شَرْط ـ أبي العاص والتزامِه، مما يدل على وجودِ اشتراطٍ مُسبَقٍ معَ عَلِيٍّ، فيكونُ عزمُ عليٍّ مخالِفًا الشرْطَ والاتفاق؛ زيادةً على ذلك خَشِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضررَ على ابنته الوحيدة ـ آنذاك ـ « فاطمة»، وأنها لن تجد من تبوح إليه، لا أمَّ، ولا أخوات، .... فالموضوعُ:

التزامٌ بالشرط، مع الخوف على ابنته، ولا خصوصية فيه.

لماذا جهَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمعاتبة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّ أنْ يُواجِهَ أحداً بما يُعَابُ بِهِ، ولعله إنمَّا جهرَ بمُعَاتبةِ عليٍّ؛ مُبالَغَةً في رِضَا فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ).

قلت: وقد يكون لمخالفة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشرطَ الذي اشتُرِط عليه، مثل العاص بن وائل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع غضَب فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحزنها في حالة تفردها بعد أخواتها...

استشكل بعضُهم خوفَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع استكثاره من الزوجات، قال ابن حجر: (ومُحَصَّلُ الجواب: أنَّ فاطمة كانت إذْ ذاك - كما تقدم - فاقدةً مَن تَرْكَنُ إليهِ، مَنْ يُؤنِسُهَا ويُزِيْلُ وحشَتَهَا مِنْ أمٍّ، أو أُخْتٍ، بخلاف أمهات المؤمنين، فإنَّ كلَّ واحِدَةٍ منهن كانت ترجِعُ إلى مَنْ يحصُلُ لها معَه ذلك.

وزيادة عليه - وهو زَوجُهنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما كان عندَه من الملاطفة، وتَطييبِ القلوبِ، وجَبْرِ الخواطر، بحيثُ إنَّ كُلَّ واحِدَةٍ منهن تَرضى منْهُ لحُسْنِ خَلْقِهِ، وجَمِيلِ خُلُقِه بجَمِيع ما يصدُرُ منه، بحيث لَو وُجِدَ مَا يُخشَى وجودُه مِن الغَيرَةِ؛ لزال عن قُرْبٍ).

سابعاً: حفظها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لسرِّ أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

عــن عَائِشَــةَ أُمِّ المــُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: إِنــَّا كُنــَّا أَزْوَاجَ النَّبــِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي، لَا وَاللهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا: عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ». قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ».

أخرجاه في «الصحيحين».

وجاء في بعض طُرقِه خارج «الصحيحين» :

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَقُلْتُ: أَيْ بُنَيَّةُ، أَخْبِرِينِي مَاذَا نَاجَاكِ أَبُوكِ؟

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَاجَانِي عَلَى حَالٍ سِرٍّ، ظَنَنْتِ أَنِّي أُخْبِرُ بِسِرِّهِ وَهُوَ حَيٌّ ! فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى عَائِشَةَ أَنْ يَكُونَ سِرَّاً دُونَهَا، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ لِفَاطِمَةَ: يَا بُنَيَّةُ، أَلَا تُخْبِرِينِي بِذَلِكَ الْخَبَرِ؟قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ، فَنَعَمْ...الحديث .

من كمال دِين فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعَقْلِها، ومحبَّتِها لأبيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبرِّها به، أنها حَفِظَتْ سِرَّ أبيها ونبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم تُخبرْ به أحداً حياةَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعِلمُهَا بأنه سِرٌّ؛ إمَّا لكونِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صرَّحَ لها بأنه سِرٌّ، لا يرغبُ أن يعلمَ به أحدٌ، أو عَلِمَتْ هي بالقرينة الفعلية والحالية ، حينما أسرَّ الحديثَ إليها من بين سائر زوجاته في المجلس.

والسِّرُّ هُنا :

١. إعلامُه إياها بأنه ميِّتٌ مِن مَرَضِهِ ذلك.

٢. أنها سيِّدةُ نِساءِ أهلِ الجنة، وأولُ أهلِهِ لُحوقاً به.

قال العلماء: يجوز إظهار السرِّ إذا انتهى وقتُه، بإظهار اللهِ له، أو أظهرَه صاحبُه الذي أسرَّ به.

ثامناً: تعليمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الكلام حول هذا المبحث من باب تحصيل الحاصل؛ لأنه مما لا شَكَّ فيه أن المعلِّم الأول والأخير لبناتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومُربيهن هو والدُهن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أخذن منه ومِن خديجة أحسنَ تربية، قبل النبوة وبعدَها، فصلاتُهن، وحجُّهن، وأذكارُهن، وتلاوتُهن للقرآن، وسائر عبادتهن، وجميع محاسن الأخلاق أخذنها مباشرةً مِن والدهن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسواء صحَّت الأحاديث المروية - على قِلَّتِها - أو لم تصِحَّ، فإنَّ مَصدَر عِلْمِهِنَّ هو والدهنَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تميَّزَتْ فاطمةُ عن أخواتها بملازمة والدِها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى وفاتِه، وذهابِه معه عام الفتح، وفي حجة الوداع، وقُربِ مَسكَنِها من بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٦٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الجمعة، آية ٢).

ولا شَكَّ أنَّ بنَاتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأزواجَه أولَى الناس استفادةً مِن تَعليمِه وتزكيتِه، وكان بهنَّ حريصاً شفيقاً، وبأمَّتِه أجمعين.

عن عَلِيٍّ بن أبي طالب، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: « عَلَى مَكَانِكُمَا »، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: « أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ».

أخرجه: البخاري ومسلم.

وفي رواية عند أبي داوود في « سننه» أنه قال لها: « اتَّقِي اللَّهَ يا فاطمة، وأدِّي فريضة ربك، واعمَلي عمَل أهلِكِ، فإذا أخذتِ مضجَعَكِ فسبِّحي ثلاثًا وثلاثين .... الحديث.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت فاطمةُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسأله خادمًا، فقال لها: « قولي: اللَّهم ربَّ السماوات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنَّوى، ومنزلَ التَوراةِ والإنجيلِ والفُرقَان، أعوذُ بِكَ من شرِّ كل شيء أنتَ آخِذٌ بناصيته، اللَّهم أنتَ الأوَّل فليس قبلَكَ شَيءٌ، وأنتَ الآخِر فليس بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهر فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فلَيس دُونَكَ شيءٌ، اقضِ عنَّا الدَّين، وأَغْنِنَا مِن

الفَقْرِ » .

أخرجه: مسلم في « صحيحه».

وعـن أمِّ سـلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالـت: جـاءت فاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالـت: يـا رسُـولَ اللهِ ، واللـهِ لقـد مجلَـتْ يـدَاي مـن الرَّحـى، أطحَـنُ مـرَّةً، وأعجِـنُ مـرَّة ..... الحـديث ، وفي آخـره قـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهـا : وإذا صـلَّيتِ صـلاةَ الصبح، فقُولي: لا إله إلا اللـهُ وحدَه لا شـريك لـه، لـه الملكُ ولـه الحمدُ، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير . عشر مرات بعد صلاة الصبح ، وعشـر مرات بعد صلاة المغرب، فإن كل واحدة منهن تُكتب عشر حسـنات، وتحـطُّ عشـر سـيئات، وكـل واحـدة مـنهن كعتـق رقبـة مـن ولـد إسماعيل، ولا يحل لذنب كسب ذلك اليوم أن يدركه إلا أن يكـون الشـرك، لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وهو حرسك، ما بين أن تقوليه غدوة إلى أن تقوليه عشية، من كل شيطان، ومن كل سوء » .

أخرجه: أحمد في « مسنده» ، وغيرُه، وفيه ضعف.

وللذكر الوارد المقيَّد بالفجر والمغرب شـواهد كلُّهـا ضـعيفة، وبعـض العلماء يحسِّنُها بمجموعها ــ والله أعلم ــ .

وعن أنسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقـول: قـال النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « ما يمنعك أن تسمعي ما أُوصيكِ به، أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا

أمسيتِ: يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه، ولا تَكِلْني إلى نفْسِي طَرْفَةَ عَيْن».

رواه النسائي في «الكبرى»، والراجح أنه ضعيف، وتحسينُه محتمل، وقد حسَّنه بعض العلماء.

وعن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدَّثَه: أنَّ ابنةَ هُبَيْرَةَ(١) دخَلَتْ علَى رسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفِي يَدِهَا خَواتِيمُ مِنْ ذهَبٍ، يُقال لها: الفَتْخ، فجعَلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرَعُ يدَهَا بعصَيَّةٍ معَه يقول لها: «أيسرُّكِ أن يجعلَ اللَّهُ في يدِكِ خَواتِيم مِنْ نَار» ؟!

فأتَتْ فاطمةَ فشكَتْ إليها ما صنَعَ بها رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: وانطلَقَتُ أنا معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقامَ خلفَ الباب، وكان إذا استَأْذَنَ قامَ خَلْفَ الباب، قال: فقالت لها فاطمة: انظري إلى هذه السِّلْسِلَةِ التي أهداها إليَّ أبُو حَسن.

قال: وفي يدِهَا سِلسِلَةٌ من ذَهَبٍ، فدَخَلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يَا فاطمةُ بالعدل أن يقولَ الناسُ: فاطمةُ بنتُ محمد، وفي يَدِكِ سِلْسِلَةٌ مِن نَار» ؟! ثمَّ عَذَمَها عَذْمًا شَدِيْدًا(٢)، ثم خرَجَ ولَمْ يقْعُدْ، فأمَرَتْ بالسِّلْسِلَةِ فبِيْعَتْ، فاشْتَرَتْ بثَمَنِهَا عَبْدًا، فأعْتَقَتْهُ، فَلَمَّا سَمِعَ بذلك

---

(١) هند بنت هبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) لامَها لومًا شديدًا.

النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبَّر، وقال: « **الحمْدُ للهِ الذِي نَجَّى فَاطمَةَ مِنْ النَّارِ** ».

أخرجه: أحمد، وغيرُه، والراجح ضعفه، وتحسينُه محتمل.

وسببُ معاتبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنتَه فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا ، مع أن الفعل جائزٌ شرعًا ؛ لأنه كان يحمل آل بيته على الورع والزهد.

إنَّ كثيراً من أحاديث فاطمة تدخل ضمن تعليمِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة وإرشادِه إياها، مِن ذلك ــ زيادةً على ما سبق ــ :

حديثُ جابر في الحج، وفيه أمرُها بالإحلال، وحديثُ أمْرِها بالعقيقة وحلقِ رأسِ المولود بعد ولادتها الحسن أو الحسين، وغيرها. (١)

---

(١) عن عبداللَّه بن عَمْرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: بينما نحن نسير مع رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ بصُر بامرأة لا تظنُّ أنه عرَفَها، فلما توسَّط الطريق وقفَ حتى انتهتْ إليه، فإذا فاطمةُ بنتُ رسُولِ اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال لها: « ما أخرجَكِ من بيتكِ يا فاطمة»؟ قالت: أتيتُ أهلَ هذا الميِّت، فترحَّمْتُ إليهم، وعزَّيتُهم بميِّتِهم، قال: « **لعلك بلغْتِ معهم الكُدَى**» ؟ قالت: معاذَ اللَّهِ أنْ أكونَ بلغتُها، وقد سمِعْتُكَ تذكُر في ذلك ما تَذكُر، فقال لها: « **لو بلَغْتِها معَهم؛ ما رأيتِ الجنَّةَ حتى يَراها جَدُّ أبيكِ**».

أخرجه: أحمد، وأبو داوود، والنسائي، وهو حديثٌ ضعيفٌ مُنكر .

وكذا ما رُوي أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لفاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: « **قومي إلى أضحيتك فاشهَدِيْهَا، فإنَّه يُغْفَرُ لَكِ عندَ أوَّل قطرةٍ من دَمِهَا كُلَّ ذنْبِ عمِلْتِيْهِ، وقُوْلِي**: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام) ،

قال: عمران، قلتُ: يا رسولَ اللهِ ، هذا لكَ، ولأهلِ بيتكَ خاصَّةً، أمْ للمسلمينَ عامَّةً ؟

[١٧] من مناقبها وخصائصها .

قال المزي (ت ٧٤٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ومناقبها، وفضائلها كثيرةٌ جداً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاها).

قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبُّها ويكرِمُها ويُسِرُّ إليها. (١) ومناقبها غزيرة.

وكانت صابرةً، ديِّنةً، خَيِّرةً، صيِّنَةً، قانِعَةً، شاكِرَةً للّٰهِ) .

من مناقبها وخصائصها:

أنها مِن أول الناس إسلامًا، فقد اتفق العلماء على أنَّ أولَ الناس إسلامًا: أمُّ المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال: « لا، بَلْ للمُسْلِمينَ عامَّةً ».

أخرجه: إسحاق بن راهويه، والطبراني، وغيرهما، وهو حديث ضعيف جدّاً.

رُوي في حديث: « أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبَّر لفاطمة شبراً من نطاقها » وفي رواية: « مِن ذَيلها »، ورواية: « مِن عَقِبها » ، وفي رواية: « أو شبرين» . وفي رواية: ثم قال لها: « هذا قَدْرُ ذَيلِكِ ».

وهو حديث ضعيف .

ورُوي أَنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في عاشوراء يتفل في أفواه رُضعاءِ فاطمة، ويأمُرُها أن لا تُرضِعَهُ إلى الليل. حديث ضعيف.

ذكرتُ هذه الأحاديث الأربعة الضعيفة ـ خلاف شرطي في الكِتَاب ـ؛ لاشتهارها عند الكُتَّاب في سيرة فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

(١) كان تمييز النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإسراره لها، بعد وفاة أخواتها، وانفرادها .

قال الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ولم يُذكر بناتُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا شَكَّ في تمسُّكِهِنَّ قبل البعثة بهديِه وسيرتِه، وقد روى ابنُ إسحاق عن عائشة: لما أكرمَ الله نبيَّه بالنبوَّةِ، أسلَمَتْ خديجةُ **وبناتُه**....

وقال الزرقاني: والحاصلُ أنه لا يحتاجُ للنصِّ على سبقهن للإسلام؛ لأنه معلوم هذا...إلخ.

وذكر السفَّاريني (ت ١١٨٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لما أكرمَ الله نَبِيَّه بالنُّبُوَّةِ، آمنَتْ به خديجةُ، **وبناتُه**، فصَدَّقْنَه، وشَهِدْنَ أنَّ ما جاءَ بِهِ الحقُّ، ودِنَّ بِدِيْنِه.

قلت: هل يمكن أن يُقال: بأنَّ أوَّل مَن أسلَم خديجةُ، ثم بناتُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل أبي بكر وعلي ؟ فيَكُنَّ أولَ مَن أسلم مطلقاً بعد خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم ؟

وهل يمكن أن يقال ـ أيضاً ـ : أوَّلُ مَن أسلَمَ من البنات مطلقاً، كما أنَّ عليّاً أول من أسلم من الصبيان ؟

وإسلامُهُنَّ تبعاً لوالديهنَّ؛ لأن زينب ـ أكبر البنات ـ عمرها أوَّل البعثة عشر سنوات، و فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ـ أصغرهن ـ كان عمرها أول البعثة خمس سنوات ـ على القول الراجح ـ، فَلِمَ لا يُذكَرْنَ بأنهن أول مَن أسلم بعد خديجة ؟!

لم أجدْ مَن تطرَّق لهذا غير الزرقاني، ثم السفاريني، وهو قَولٌ قَويٌّ فيما يظهَرُ لي ـ واللَّهُ تعالى أعلَمُ ـ.

وقد يُقال: بأنَّ البحثَ فيمَن أسلَم ممَّن دعاهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما بناتُه فهُنَّ تبعٌ له خاصة أنهن كلهن ــ أو عدا زينب ــ دون البلوغ .

لكن سياق الحديث عند مَن بحث في المسألة: عَمَّنْ دخل في الإسلام أولاً، لا فرق بين مَن دخل تبعاً كبناته، ومولاه، وعليٍّ ـ على الصحيح[1] ـ ، ومَن دعاه فاستجاب كأبي بكر، وغيره.

على كُلٍّ ، هذه المسألة لا ينبني عليها حُكْم، ولا عَمَل ـ والعِلْمُ عندَ اللَّهِ تعالى ـ .

ومن مناقبها: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلَّلها بكِسَائه مع ابنَيْها الحَسن والحُسين، وزَوْجِها عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقرأ: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ (سورة الأحزاب، آية ٣٣) وقال: « **اللهم هؤلاء أهلُ بيتي، وأهلُ بيتي أحقُّ** ».

ومن مناقبها: شَبَهُهَا بأبِيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في حَديثِهَا، ومِشْيَتِهَا، وصِدْقِ لَهْجَتِهَا، وغَيْرِ ذَلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

من خصائصها: أنها سيِّدة نساء هذه الأمة = سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران، وقد بُشِّرَتْ بالجنة، وكذا زوجُها، وابنَاها، وأمُّها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

---

(١) قال ابن حجر: (ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح). وقيل: أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل: أربع/ خمس/ ست/ ثمان **عشرة**.

ومن خصائصها: أنها أطولُ آلِ البيت ملازمةً للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم أجدْ مَن ذكر هذه المعلومة ـ والحمدُ للَّهِ على فَضْلِه ـ.

ومما ساعدها في ملازمتها: أنها مُنذ ولادتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي مع والدها، وكانت آخر أخواتها زواجًا، وكان بيتها بعد زواجها ملاصقًا بيتَ والدها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ = بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد بقيت معه حياتَه كلها، بخلاف بقية بناته، فقد متن في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد شَهِدَتْ مَراحِلَ الدَّعْوة الإسلامية كلَّها من بدئها إلى وفاةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلَها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُلازَمَةٌ خاصةٌ لأبيها، ولها حُضُورٌ لكثير من مَشاهِدِه، مع بِرِّها، ومُناصَرَتِهَا وذَبِّهَا عنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ففي العهد المكي، أزالَتْ عن ظهر والدها الأذى الذي وضَعَهُ كُفَّارُ قُريش، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعِينُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي غزوة أُحُد (٣ هـ)، داوَتْ جِراحَه، وأوقفَتِ الدمَ الذي يسيل على وجهِهِ الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا معه في «عمرة القضاء» (٧ هـ) ـ كما في «صحيح البخاري» ـ في حديث تَنَازُعِ عليٍّ وجعفرٍ في ابنة حمزة.

وكانت معه ـ أيضًا ـ في «فتح مكة» (٨ هـ)، وقد سترته لما أراد الاغتسال بعد الفتح مباشرة.

وكذا كانت معه في حجة الوداع (١٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

وقد نَوَّه بذكرها في مَواطن:

في مكة على الصفا: يافاطمة سليني من مالي، لا أغني عنك من اللَّـه شيئًا، وفي خُطبتِه: لو أن فاطمة بنت محمد سرقَتْ لقطعتُ يدها.

وفي خُطْبته ـ لما أراد عليٌّ أن يتزوَّج عليها ـ : فاطمةُ بَضعَةٌ مِنِّي، يُريبني ما يُريبُها.

ومن خصائصها:

أن عِقب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انحصر في ولدها، فمِنْهَا امتدادُ ذريته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن بَعده، وأن المهدي المنتظر ـ عند أهل السنة والجماعة ـ من ولد الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

ومن ذلك: إسرار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها بقُرْبِ أجَلِهِ، وأنَّها أوَّلُ أهلِهِ لحاقًا به.

وقد حَفِظَتْ لأبيها السِّرَّ الذي استودَعها إياه، فلم تُخبِرْ به أحدَاً، مع تشوُّفِ نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى معرفته، وكُنَّ حاضرات كلُّهُنَّ وقتَ الإسرار، وشاهدوا أمرَاً غريبًا من بُكائها ثم ضَحِكها في وقت قريب .



[١٨] علمها و مسندها.

أما عِلمُ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فلا شك أنه في الدرجة العالية، قد حَفِظتْ كثيراً من أقوالِ وأفعالِ وهَدْي أَبِيْهَا النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أن عقلت نفسها إلى وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنها لم تحدِّثْ به كثيراً ؛ لِعَدَمِ احتياجِ الناس إليها، فبيتُهَا مجاوِرٌ لأبيها، والناس يسألون والدَها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويروون عنه، ولم تفارق المدينة النبوية ــ إلا مع أبيها ــ فلم يحتَجِ الناسُ لسؤالها وحديثِها، ولم تَطُلْ مُدَّتُها بعد أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقَد ماتَتْ بعده بستة أشهر، وربما لو قُدِّر لها العمرُ المديد، لنَشَرَتْ علمًا غزيراً كما نشرَتْ أزواجُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة وغيرُها.

ــ رُوي عن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قول اللَّه تعالى:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ (سورة آل عمران، آية: ٧).

الوقفُ على قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.(١)

---

(١) نَسَبَ هذا القولَ إليها: عبدُالقادر الجيلي (ت ٥٦١ هـ)، فيما نقلَه عنه: ابنُ القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» ـ ط. عالم الفوائد ـ (ص ٤٢٤) . ولم أجِدْهُ في غير هذا المصدر.

وفي النَّفْسِ شَكٌّ من صِحة نِسبةِ هذا القولِ لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ لتفرُّدِ عبدالقادر بذلك، وأخشى أن يكون تصحيفًا .

والخلاف في المسألة مَشهور، فالوقْفُ هو قولُ أكثر أهل العلم: من المفسرين والقرَّاء والنحويين، قاله أبو عمرو الداني في «المكتفى في الوقف والابتداء» (١/ ١٩٥).

وانظر في المسألة: «معجم القراءات القرآنية» د. عبداللطيف الخطيب (١/ ٤٤٥) .

هـذا، ولـم يَـروِ أحَـدٌ مـن أولادِ النبـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنـه غيـرُ فاطمـة ــ حسب المصـادر ــ مع اليقين بتلقيهن علمـــاً كثيـراً عـن والـدِهن النبـيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ذكَـرَ المِـزِّيُّ (٧٤٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمتهـا: أنـه روى لهـا الجماعةُ أي أصحابُ الكتب الستة.

وقال: [**روَتْ عن**: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ع) .

روى عنها: أنس بن مالك (خ)، وابنها الحسين بـن علي بـن أبي طالـب (ق)، وأبوه علي بن أبي طالـب، وسـلمى أم رافـع زوج أبـي رافـع، وعائشـة أم المؤمنين (ع) ، وفاطمة الصغرى بنت الحسين بـن علي بـن أبي طالـب (ت ق) مرسلاً، وأم سلمة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ت)].

ذكرتُ في **الأصل = كتابي الموسوعة عن فاطمة، أول الباب الثالث: مسندها**، مَن له روايةٌ عنها في كتُب السُّنَّةِ ــ وإن كان بعضُهم أو غالِبُهم لم يُدرِكْها ــ وقد بلغَ عددهم: (٢٧) سبعة وعشـرون راويـًا.

قال الذهبي: (ولها في « مسند بَقِي» : ثمانية عشـر حديثـًا، منهـا حـديث واحِدٌ متفَقٌ عليه).

أورد الحاكمُ ــ مما أعتَبِرُهُ مِن مسنَدِها ــ اثني عشـر حـديثـًا، والمـزيُّ في « التحفة» أربعة أحاديث، وابنُ حجر في « إتحاف المهـرة» ثمانيـة أحاديـث مما ليست في « التحفة» .

قال السيوطي: (جَميعُ ما روتْهُ فاطمة لا يبلغ عشرةَ أحاديث؛ لِتقدم وفاتها).

وفي « المسند المصنَّف المعلَّل » لبشار عواد، وجماعة: أربعةَ عشر حديثًا.

وفي « مسند أصحاب الكساء» لبشار عواد، وابنِه محمد : خمسةَ عشر حديثًا.

هذا، وقد بلَغَتْ أحاديثُ مُسندِها ــ في كتابي الأصل ــ كما في الباب الثالث: (٤٩) تسعة وأربعين حديثًا :

في الصحيحين أو أحدهما : (٣) أحاديث.

في السنن الأربع: (٣) أحاديث.

في مسند أحمد : (٤) أحاديث.

في بقية كتُبِ السُّنَّةِ: (٣٦) حديثًا .

في كتب التاريخ : (١) حديث واحد ـ وهو رقم (٤٦) في « المستدرك على مسند فاطمة» ــ .

لم أجد له إسناداً : (٢) حديثان ـ وهما رقم (٤٧) و (٤٨) في « المستدرك على مسند فاطمة » ــ .

الصحيح منها : (٣) أحاديث.

والحسن: (٢) حديثان .

والضعيف: (٢٠) حديثًا، وواحد منها مُحتملُ التحسين.

والضعيف جداً: (١٠) حديثًا.

والموضوع: (١٤) حديثًا.

هذا، وقد ذمَّتْ الإماميةُ أهْلَ السُّنةِ والجمَاعَةِ بِقِلَّة أحاديث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندهم !! مع أنها [(١)] عند أهْلِ السُّنَّةِ بأسانيد متصلة ، أمَّا هُم فلا يَملِكُونَ حَدِيثًا واحِدًا بإسنادٍ مُتَّصِل !!

أمَّا ما يدَّعُونه من: مصحف فاطمة، لوح فاطمة، وخُطب فاطمة، وفتاوى فاطمة، وتلميذة فاطمة: فَضَّة ؛ فكلُّها كَذبٌ مُفترى.

وإليك الأحاديث المقبولة: الصحيحة والحسنة من مسند فاطمة، وهي خمسة أحاديث، والسادس موقوف عليها محتمل التحسين :

١ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ ، فَقَالَ لَهَا: « **لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ** » ، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ

---

(١) أعني أحاديث فاطمة الواردة في شأنها: سيرتها، وفضائلها، ومسندها.

الفِـرْدَوْسِ مَـأْوَاهْ ، يَـا أَبَتَـاهْ إِلَـى جِبْرِيـلَ نَنْعَـاهْ، فَلَمَّـا دُفِـنَ، قَالَـتْ فَاطِمَـةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ.

أخرجه : البخاري.

٢ ـ عـن عَائِشَـةَ أُمِّ المُـؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَـتْ: إِنَّـا كُنَّـا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعـًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّـا وَاحِـدَةٌ، فَأَقْبَلَـتْ فَاطِمَـةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّـا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: « مَرْحَبًا بِابْنَتِي». ثُـمَّ أَجْلَسَـهَا عَـنْ يَمِينِـهِ أَوْ عَـنْ شِـمَالِهِ، ثُـمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْـحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِـنْ بَيْنِ نِسَـائِهِ: خَصَّـكِ رَسُـولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّـرِّ مِـنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا: عَمَّـا سَـارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِـرَّهُ .

فَلَمَّـا تُـوُفِّيَ، قُلْـتُ لَهَـا: عَزَمْـتُ عَلَيْـكِ بِمَـا لِـي عَلَيْـكِ مِـنَ الحَـقِّ لَـمَا أَخْبَرْتِنِي.

قَالَـتْ: أَمَّـا الآنَ فَـنَعَمْ، فَـأَخْبَرَتْنِي، قَالَـتْ: أَمَّـا حِـينَ سَـارَّنِي فِـي الأَمْـرِ الأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي: « أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالقُرْآنِ كُلَّ سَـنَةٍ مَـرَّةً، وَإِنَّـهُ قَـدْ عَارَضَنِي بِهِ العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْـبِرِي، فَـإِنِّي نِعْـمَ السَّـلَفُ أَنَـا لَـكِ ». قَالَـتْ: فَبَكَيْـتُ بُكَـائِي الَّـذِي رَأَيْـتِ، فَلَمَّـا رَأَى

جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: « يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ ».

أخرجه: البخاري، ومسلم .

٣ ـ عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: دخلنا على جابر بن عبداللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . . . فذكر الحديث الطويل في حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمَّا ذكَرَ أمْرَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابَه ممن ليس معهم الهدي أنْ يحِلُّوا، ويجعلُوها عُمرةً، قال جابر: وقَدِم عليٌّ من اليَمَن بِبُدْنِ [١] النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدَ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممَّن حَلَّ، ولَبِسَتْ ثِيَابًا صبيغًا [٢]، واكتحَلَتْ، فأنكرَ ذلك عليها، فقالَت: إنَّ أبي أمرَني بهذا.

قال: فكان عليٌّ يقول بالعراق: فذهبتُ إلى رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحرِّشًا على فاطمة لِلَّذِي صَنعَتْ، مُستَفْتِيًا لرسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ذكَرَتْ عنْهُ، فأخبرتُهُ أني أنكرتُ ذلك عليها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صَدَقَتْ صَدَقَتْ، ماذا قلتَ حينَ فرضتَ الحج » ؟

قال قلتُ: اللَّهم، إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ بِهِ رسولُك، قال: « فإنَّ مَعيَ الهَدْيَ فلا تحِلَّ ».

قال: فكان جماعةُ الهَدْي الذي قدِم به عليٌّ من اليَمَن، والذي أتى به

---

(١) واحدها بَدَنَة، وهي التي تُهدَى للبيت.

(٢) مصبوغة ملوَّنة.

النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مئةً، قال: فحَلَّ النّاسُ كلُّهم وقَصَّرُوا، إلا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَن كان معه هَدْيٌ... الحديث ». أخرجه: مسلم.

وعند النسائي، وأحمد: « صدَقَتْ صدَقَتْ صَدَقَتْ (ثلاثًا)، أنا أمرتُها به ».

وعند أبي داوود، والنسائي من حديث البراء: قال عليٌّ: وجدتُ فاطمةَ قد نضحَتِ البيتَ بنضوح قال: فتخَطَّيتُه، قالت لي: « ما لَكَ ؟! فإنَّ رسولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمَرَ أصحابَه فأحلُّوا ».

٤ ــ عَنْ فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَلَا لَا يَلُومَنَّ امْرُؤٌ، إِلَّا نَفْسَهُ، يَبِيتُ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ ».

أخرجه: ابن ماجه، وهو حديثٌ حسَنٌ بشواهده.

٥ ــ عَنْ فَاطِمَةَ ابْنَةِ حُسَيْنٍ، عَنْ جَدَّتِهَا فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صلَّى على مُحمَّدٍ وسلَّمَ، وَقَالَ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ». وَإِذَا خَرَجَ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ ».

أخرجه: الترمذي، وأحمد، وابن أبي شيبة، وغيرُهم.

حسَّنَهُ: الترمذيُّ، وابنُ حجر، ومنهم مَن يُضعِّفُه للانقطاع، وعدَمِ تَقويتِه بالشواهد.

٦ ـ عن أبي جعفر محمدِ بنِ علي بـن الحسين، عـن فاطمـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها وزنَت فاطمةُ شعرَ حسن وحُسين وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزِنَة ذلـك فِضَّة.

لفظ مالك في «الموطأ».

ولفظُ حديثِ عَمْـرِو بـن دينـار عنـد عبدالرزاق في «المصنف»: كانـت فاطمة إذا ولَدَتْ، حلَقَتْ شعرَه، ثم تصدَّقتْ بوَزنِه وَرِقاً.

وهذا الموقوف مُعضَل، وهو مُحتَمِلُ التحسِين؛ لِشَواهدِهِ.



[١٩] علاقتها بأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياها على حب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ حِزْبَيْنِ:

فَحِزْبٌ فِيهِ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ.

وَالحِزْبُ الآخَرُ: أُمُّ سَلَمَةَ، وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)، وَكَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ.

فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا، فَكَلِّمِيهِ قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ، فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: « لَا تُؤْذِينِي فِي

---

(١) أي بقيتهن، وهن: زينب بنت جحش الأسدية، وأم حبيبة الأموية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، دون زينب بنت خزيمة أم المساكين. انظر: « فتح الباري» لابن حجر .

عَائِشَةَ فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ، إِلَّا عَائِشَةَ».

قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ العَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ»؟ قَالَتْ: بَلَى، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ.

فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ[(١)]، فَأَتَتْهُ، فَأَغْلَظَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللهَ العَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ، هَلْ تَكَلَّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا، قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ، وَقَالَ: «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ».

متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وفي لفظ مسلم: قالت عائشة، فأرسل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينبَ بنتَ جحش، زوجَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي التي كانت تُسَامِيني[(٢)] منهُنَّ في المنزلةِ عند رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم أرَ امرأة قطُّ خيراً في

---

(١) قال ابن حجر: (وفيه إدلالُ زينب بنت جحش على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكونها كانت بنت عمَّته، كانت أمُّها أُمَيْمَةَ ـ بالتصغير ـ بنتَ عبدِالمطلب).

(٢) أي تُعاليني وتفاخرني.

الدِّين من زينب، وأتقى للَّهِ وأصدقَ حديثًا، وأوصلَ للرَّحِمِ، وأعظمَ صدَقَةً، وأشَدَّ ابتذَالاً لِنفسِهَا في العَمَلِ الذي تصدق به، وتقربَ به إلى اللَّهِ تعالى، ما عدا سَوْرةٍ[1] من حِدَّةٍ كانت فيها، تُسْرِعُ مِنها الفَيْئَةُ، قالت: فاستأذَنتْ على رَسُولِ اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَسولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة في مِرْطِهَا، على الحالة التي دخلَتْ فاطمةُ عليها وهُوَ بِهَا، فأذن لها رسولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حديث آخر:

عن سعيدِ بنِ المسيب، قال: « قَدِمَتْ صَفِيةُ بنتُ حُييٍّ وفي أُذُنيها أخْرِصَةٌ مِن ذَهَبٍ، فوَهَبَتْ لِفَاطِمَةَ بنتِ رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولِنسَاءٍ معَهَا ».

أخرجه: ابن وهب، وابن سعد، وهو مُرسلٌ، وصحَّحَ إسنادَه ابنُ حجر.

وأخرج: ابنُ وهب ـ بنحوه ـ من قول الإمام مالك.

هذا، وإنَّ العَلاقةَ بين فاطمة، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَلاقةٌ حَمِيمِيَّةٌ، ملؤها المحبة والصلة والوفاء، ولم يُنقَل عنهما شَيءٌ يدل على مُباعدة ومُنافرة؛ فضلاً عن عَدَاء وبُغْض، وهذه المحبةُ والألفةُ لا تنافي وجود خلافات عائلية،

---

(١) أي ثَوْرَة و وَثْبَة.

تقع في البيوت كلها، منشؤها النَّـزَعات الإنسانية، والاختلافات الشخصية، مع قرب الجوار، وكثرة المخالطة، وهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غير معصومتين.

فإذا كانت الخلافاتُ الزوجية = العائليَّة تقع في بيت النبوة مع أفضلِ الخلق، وأصدَقِهم، وأتقاهم، وأكملِهم هَدْيًا، وأحسَنِهم خُلُقًا، وأكرَمِهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالحالُ بين الزوجات، أو فاطمة مع غيرها من باب أولى.

وإني أرى أنَّ قبولَ فاطمة الوسَاطةَ والرسالَةَ من حِزب أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم حديثَها بالطلب صراحةً مع وجود عائشة، يَشِي بأمرٍ يَسيرٍ من الاختلافاتِ العائلية بين فاطمة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لكن لم يُنقل شَيءٌ مُفصَّل من ذلك؛ لعدم بلوغِه درجةَ الاهتمام والنقل، ولكونه من الأحداث اليومية الظاهرة التي تُمحَى سَرِيعًا، ولِعدَمِ تمكُّنِها في القَلْب، ولِوجُود الصلاح والتُّقَى الذي يَحمِي صاحِبَها عن الاستمرار، فضلاً عن القطيعة والافتراء.

ومما يدلُّ على وجود مثل هذا المعتاد في البيوت، ما رُوي في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما رأيتُ أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها ـ وكان بينهما شَيءٌ ـ فقالت: يا رسول اللَّه، سَلْهَا فإنها لا تكذب».

فقولُ الراوي: «وكان بينهما شَيءٌ» ـ إنْ صحَّت هذه الجملة ـ، لا يدل على نزاع مستمر، أو نزاع شديد مؤثِّر، بل هو شَيءٌ محدد في موضوع

عارض.

ولـو كـان بينهمـا نـزاعٌ كبيـر، وبَغضـاءُ ظـاهرة، وتنـافرٌ بـيِّن، لظهـر في أحاديـث عديـدة، ونُقِـل بأسـانيد صـحيحة، وهـذا مـا لـم يحـدث، بـل نُقِـل خلافه ـ ولله الحمد ـ.

ونلحـظ في الحـديث الأول الطويـل بروايـة مسـلم أن عائشـة تحكـي موقفها من زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتصفُ صراحةً سببَ الغَيرة، وما فعَلَتْهُ، وردَّها، ومع ذلك تُقدِّم بين يدي حديثِها مَدحًا تفصيليًا لزينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكأنها تُبيِّن عُذرها فيما يصدرُ منها، وهي حِدَّة طبَعِية، سرعان ما تَفِيءُ منها، ومع وصفِها بما يعرضُ لها إلا أنها بادَرَتْ ببيان عدم تأثير ذلك لِسرعة فَيئها، فبدأ الحديثُ عنها وانتصفَ واختتمَ بالمدح والثناء، رغم الاختلافات.

فـإذا كـان ذلـك بـين عائشـة و زينـب، وهمـا كمـا يُسـمَّى (ضـرَّات و جـارات)، فـأي شَـيءٍ يكـون بـين عائشـة وفاطمـة، ولكـل منهمـا محبـة خاصة عند النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع كمال عقلِهما ودينِهما.

وإن مما يدل على المحبة والصفاء والنقاء بينهما :

أولاً: أنَّ الأصل بين المتَّقين: الصدق والوفاء والمحبة والصفاء، ولم يَرِدْ شَيءٌ يُخالِف هذا بَين أمِّ المؤمنين: عائشة، وبنْتِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثانيًا: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقسم لعائشة يومين، يومَها ويوم

سودة؛ لأنها تنازلت عنه لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان بيتُ ابنةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة مجاورًا لبيت عائشة، والزيارة متبادلة بينهما متكررة يوميًّا أو شبهه، فلو كان بين عائشة وفاطمة شيءٌ؛ لظهر في عدد من الوقائع، وهذا لم يحصل.

ثالثًا: ورود عدد من الأحاديث المنبئة عن صفاء ومودة، **من ذلك**:

- وصف عائشة لفاطمة، وأنها شبيهة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مِشيَتِها وهَديها ودَلِّها، وقيامها، وقعودها، مع احتفاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، واحتفائها به، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصَّها بالسرار حينئذ من بين الحاضرات، وهُنَّ جميع أزواجه...

- وكذلك مدحها بقولها: ما رأيتُ أحداً قطُّ أصدَقَ لَهْجةً من فاطمة غيرَ أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

- وخبرها بأنَّ أحبَّ النساء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فاطمةُ.

- أيضًا مبادرة عائشة من بين أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهن ـ وكُنَّ في المجلس ـ بسؤال فاطمة عن إسرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، فبكت، ثم أسرَّ لها فضحكت؛ لأن الموقفَ مُلفِت للانتباه، ومُستَغْرَب...

لو كان بينهما شَيءٌ؛ لمَا سألَتْها، ولأَوْكَلَت السؤال إلى إحدى الحاضرات.

- ثم إعادة السؤال لها بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإجابة فاطمة، وهذا كله يدُلُّ على المودة بينهما، وعدم وجود ما يدفع القرب والاتصال،

وكان السؤال الثاني في وَقْتٍ تدَّعي الإمامية اغتصاب أبي بكر الخلافة، وما جرى في قضية الميراث !! فلو كان بينهما عداوة لما تجرَّأَتْ عائشة على السؤال عن السِّرِّ، ولما أجابت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ـ أيضًا كان بينهما حقٌّ لم يُذكر تفاصِيلُه، وإنما أشارَتْ إليه عائشة في قولها: « ...فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا **لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ** لَمَّا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي ... الحديث.

ـ وكذلك رواية عائشة حديثَ الكِسَاءِ، وروايتُها أصحُّ ما وردَ فيه، والحديثُ من أعلى الأحاديث في فَضْل بَعْضِ آلِ البيت الأقربين: فاطمة، وزوجِها، وولدَيها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ .

ـ أيضًا حملُ عائشة طلب فاطمة لما أرادَتْ خادمًا، وأتَتْ إلى أبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم تجدْهُ، فعادَتْ ؛ ثم أخبرَتْ عائشةُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَقدَمِها وطلَبها، فزارَها في بيتِها وحدَّثها.

ونلحظ في الحديث الأول أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُجِبِ ابنتَه فاطمةَ على الطلب المحمول من أمِّ سلمة ومَن معها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ ، ولم يدخل في ذلك؛ لأنَّ الغَيرة ظاهرةٌ، ولا حَقَّ لهن فيما طلبْنَ، ويظهَرُ أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَشِي على ابنته أن يساكن قلبَها شَيءٌ من سماعِها لحديث الجماعةِ أمِّ سلمة ومَن معها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ ، فصرفَ ابنتَه فاطمةَ عن الموضوع، وبادَرها بجواب يُفيدها ويدلُّها على الابتعاد، فذكرَ أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ عائشةَ، وحثَّ

ابنتَه على حُبِّ عائشة؛ وقد استجابَتْ فاطِمَةُ فَوْرَاً ؛ لأنها تحبُّ ما يحبُّ والدُها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد دلَّ على ذلك أنها لَمْ تَقبلْ طلَبَ أمِّ سلَمَة ومَن معها بمراجعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموضوع مَرَّةً ثانيةً.

هذا، وإنَّ بينهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تقارباً في السِّنِّ، وفي المَسْكَن، مما يستدعي أُلفَةً خاصة، ومعاونةً بينهما، خاصةً فيما يَعرِضُ لفاطمة من أمور الزوجية، والولادة، ونحو ذلك، وقول عائشة ــ السابق ذكره ــ: «عزمتُ عليكِ بما لي عليكِ من الحق...» ، يدلُّ على شَيءٍ من هذا ــ واللَّهُ أعلم ــ .



[٢٠] موقف فاطمة من طلب أبي سفيان الشفاعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

جاء أبو سفيان ـ قبل إسلامه ـ إلى المدينة، قبل فتح مكة، يريد العفو من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نقض العهد، فطلب من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تشفعَ له عند رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيجدد الهُدنة التي بينه وبين قريش....

والروايات في هذا مُرسَلَة، غير متِّصلة، وهي من أحاديث السيرة.

قال عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : عن مَعمَر، عن عثمان الجزَرِي، عن مِقْسَمٍ.

قال مَعْمَر: وكان يُقال لعثمان الجزري المشاهد، عن مِقْسَمٍ مَولى ابن عباس (ت ١٠١هـ)، قال: لما كانت المدَّةُ التي كانت بينَ رسولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش زمن الحديبية، وكانت سنين ذَكرَ أنها كانت حَربٌ بَين بني بكرٍ ـ وهم حُلَفَاءُ قُريش ـ، وبين خُزَاعَة ـ وهُمْ حُلَفاءُ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؛ فأعانَت قريشٌ حُلَفاءَه عَلى خُزاعة، فبلغَ ذلكَ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « والذي نَفسي بيدِه، لأمنعَنَّهُم مما أمنَعُ مِنهُ نَفْسِي وأهلَ بَيتِي».

وأخذَ في الجهازِ إليهم، فبلَغَ ذلكَ قُرَيشًا، فقالوا لأبي سفيان: ما تصنَعُ وهذهِ الجيوش تجهَّزُ إلينا ؟! انطَلِقْ فجَدِّدْ بيننا وبينَ محمَّدٍ كِتَابًا،

وذلك مَقدَمَهُ مِن الشام.

فخرَجَ أبو سفيان حتَّى قَدِمَ المدينة، فكَلَّمَ رسولَ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هَلُمَّ فلَنْجُدِّدْ بيننا وبينَك كِتَابًا.

فقال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فنحنُ على أمرِنَا الذي كانَ، وهَلْ أحدَثْتُمْ مِن حَدَثٍ » ؟

فقال أبو سفيان: لا.

فقال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فنحنُ عَلى أمْرِنَا الذي كان بيننا ».

فجاءَ عَليَّ بنَ أبي طالب فقال: هَلْ لكَ عَلى أنْ تسُودَ العرَبَ، وتمُنَّ عَلى قَومِكَ فتُجِيْرَهُمْ، وتُجَدِّدَ لهم كتابًا ؟ فقال عليٌّ: ما كنتُ لأفتَات عَلى رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمْرٍ .

ثمَّ دخَلَ ـ أبو سفيان ـ عَلى فاطِمَةَ، فقالَ: هَل لَكِ أنْ تكُونِي خَيْرَ سَخْلَةٍ [1] في العَرَبِ؟ أنْ تُجيرِي بَينَ الناس، فقد أجارَتْ أختُكِ عَلى رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجَها أبا العاص بن الربيع فلَمْ يُغَيِّرْ ذلِكَ .

فقالت فاطمة: ما كنتُ لأفتَاتَ عَلى رسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمرٍ .

ثم قال ذلكَ للحسَنِ والحُسَين: أجِيرَا بَين الناس، قُولا: نَعَمْ، فلَمْ يقُولا شيئًا، ونظَرَا إلى أمِّهِما وقالا: نقولُ ما قالَتْ أمُّنَا.

فلَم يَنجح مِن واحِدٍ منهم مَا طلَب .... الحديث.

---

(١) كذا في طبعة الأعظمي، و ط. التأصيل لِـ « مصنَّف عبدالرزاق» .

وعند ابن أبي شيبة: قال أبو سفيان لفاطمة: **يا فاطمة**، هل لك في أمر تَسُودِين فيه نساءَ قومك، ثم ذكر لها نَحواً مما ذكرَ لأبي بكر، فقالت: ليس الأمرُ إليَّ، الأمرُ إلى اللَّهِ وإلى رسُولِه. ثمَّ أتى عَلِيًّا... الحديث.

عند الواقدي: دخل أبو سفيان على **فاطمة** بنت النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلَّمَها، فقال: أجيري بين الناس!

فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنما أنا امرأةٌ.

قال: إنَّ جِوارَكِ جَائِزٌ، قَدْ أجارَتْ أُختُكِ أبا العاص بن الربيع، فأجازَ ذلكَ محمد.

قالت **فاطمة**: ذلكَ إلى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وأبَت ذلك عليه.

فقال: مُرِي أحدَ بَنِيكِ يُجِيرُ بين الناس!

قالت **فاطمة**: إنهما صَبِيَّان، وليس مِثلُهُما يُجير.

وعند البيهقي: قالت: إنما أنا امرأة، وإنما ذاك إلى رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: فأمُرِي أحدَ ابنَيْكِ، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنما هما صبيَّان ليس مثلهما يُجِير، قال: فكلِّمِي عليًّا، قالت: أنتَ فكلِّمْهُ، فكلَّمَ عليًّا ... الحديث.

وعند البيهقي ـ أيضًا ـ: ثمَّ خرَجَ أبو سفيان فدخلَ عَلَى عَلِيِّ بنِ أبي طالب وعندَه **فاطمةُ** بنتُ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندَهَا حسَنٌ، غلامٌ يدبُّ بين يديها، فقال: يا عليُّ، إنك أمسُّ القومِ بي رَحِمًا، وأقربُهُمْ مِنِّي

قَرابَةً، وقد جِئتُ في حَاجَةٍ، فلا أرجِعَنَّ كما جِئتُ خَائِبًا، فاشْفَعْ لي إلى رسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ويحك يا أبا سفيان، واللَّهِ لقد عزمَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمر ما نستطيع أن نكلمَه فيه، فالتَفَتَ إلى **فاطمة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقال: يا بنتَ محمَّدٍ، هل لكِ أن تَأمُري بَنِيْكِ هَذَا، فيُجِيرَ بَينَ الناس؛ فيَكُونَ سَيِّدَ العَرَبِ إلى آخر الدهر؟

فقالت **فاطمة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: واللَّهِ ما بلغَ بَنِيَّ ذاكَ أنْ يُجيرَ بَينَ الناس، وما يُجيرُ أحدٌ على رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أقول: يُلحظ أنَّ في رواية ابنِ إسحاق، لم يطلُبْ أبو سفيان من فاطمة أن تشفع، بل أن تأمُرَ ولدَها الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بخلاف رواية الواقدي، وموسى بن عُقبة، ومِقْسَم، وعكرمة ـ واللَّهُ أعلم ـ.



[٢١] موقف فاطمة مع أبي لبابة، وهل حلت عقاله رضي الله عنها؟

قصةُ أبي لبابة بن عبدالمنذر الأنصاري رضي الله عنه وربطِه نفسَه في المسجد ندَمًا على خطئيته - إما بعد غزوة تبوك، و إما بعد قريظة على اختلاف في ذلك -، وحَلَفَ أن لا يحِلَّ رِبَاطَه إلا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَحَلَّه الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم - كذا في أغلب الأسانيد والروايات وهي من روايات السير والمغازي - وهذا القولُ هو المتناقل عند المُحدِّثين والمُفسِّرين والمُؤرِّخين.

وفي روايةٍ ضَعِيفةٍ جِدًّا: أن فاطمةَ رضي الله عنها هي التي حلَّتْهُ وفكَّت رباطَه، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم إثرَ ذلك: « **هي بَضعةٌ مني** ».

فبَرَّ أبو لبابة بيَمِيْنِهِ.

والصوابُ والأشهر، هوالأول، ولا يصحُّ لفاطمةَ ذكرٌ في القصة.



[٢٢] طلبها الميراث من أبي بكر، وعلاقتها بالشيخين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

لم تكُن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تعلَمُ ـ كما بقية أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدا عائشة ـ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُورث، فجاءت تطلبُ ميراثها من أبي بكر، فأخبرَها بالسُّنَّة في ذلك، فصدَّقت، ولم تُناقشْهُ في ذلك، ولم تَعُدْ تطلب الميراث منه مرةً ثانية.

قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولما توفي أبوها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تعلَّقَتْ آمالها بميراثه، وجاءتْ تطلب ذلك من أبي بكر الصديق، فحدَّثها: أنه سمعَ من النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « لا نُورَث، ما تركنا، صدقة». فوَجَدَتْ عَليه، ثم تعَلَّلَتْ.... ثم ذكر الذهبيُّ مراضاة أبي بكر لها في مرضها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا).

قال أبو إسماعيل حماد بن إسحاق المالكي (ت ٢٦٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأمَّا ما يحكيه قومٌ أن فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ طلبتْ فدَك، وذكرَتْ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقطعها إيَّاها، وشهِدَ لها عليٌّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلم يقبل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شهادتَه؛ لأنه زوجها؛ فهذا أمرٌ لا أصَلَ لَهُ، ولا تثْبُتْ بِهِ رواية، أنَّها ادَّعَتْ ذلك، وإنما هُوَ أمْرٌ مُفْتَعَل لا ثَبْتَ فيه، وإنَّما طلَبَتْ وادَّعَت الميراث، هي وغيرها من الورثة؛ وكان النظر والدعوى في ذلك،

وقد بيَّنَا ما جاءت به الروايات الصحاح فيه، وإنما طلبتْ هيَ والعباسُ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ من فدَك وغيرها، مما خلَّفَ رسولُ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الميراث، ولمْ تذْكُرْ أنَّ رسُولَ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أقطعها إياها، بل كان طلبها من فدَك وغيرِ فدَك ميراثها).

وقال أيضاً: (... ولو كان رسُولُ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أقطعَها فدَك، وعَلِمَ بذلك عليٌّ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وشهِدَ بِهِ كما ذَكَرُوا؛ لأَوْجَبَهَا عَليٌّ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لِوَرَثَةِ فاطمة عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ، حيثُ وليَ الأمرَ، ولم يظلمْهُمْ حقوقَهُم أن كان قَدْ شهِدَ بذلك عَلى رسُولِ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كما زعموا، ولم يسَعَه إلا ذلك، إنْ كان ــ كما قالوا ــ شهِدَ بذلك على رسولِ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ، ولم يكُن عَلِمَهُ أبو بكر فرَدَّ شهادتَه مِن أجل أنَّه زوجُها.

وكان يجبُ عليه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حيث وليَ الأمرَ أنْ يُمْضِيَهِ لهم، ويقول: قدْ أشهَدَنِي رسولُ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ، وردَّ أبو بكر شهادَتي مِن أجلِ أني زوجٌ، ولا يسَعُنِي إلا إنفاذَ الحقِّ لأهْلِهِ، كما جعلَهُ رسولُ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لها؛ إذْ علمتُ منهُ مَا لم يكُنْ عَلِمَهُ أبو بكر، فإنَّه لا يحلُّ لمسلمٍ إلا إنفاذَ ما صَحَّ عندَهُ مِن فِعْلِ رسولِ اللَّـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأمرِهِ، يقول اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(سورة النور، آية٦٣) كمَا عمِلَ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فيما سَمِعَ مِن رسولِ اللـهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله: « **إِنَّا لا نُورَث** » ؛ وكذلك إمضاؤه أمرَ قَسْمِ الخُمُسِ وغَيرِهِ، على ما رأى مِن فِعْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ لا يستَوحِشُ مِن ذلك ولا يُشاوِرُ فيه أحدًا كما كان يفعلُ في غيره، مما لم يسمَعْ فيه منه شيئًا، فيجمَعُ له أصحابَ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرُ بعده.

ومَنْ قال بهذا القولِ يَلزمُهُ الطعنُ عَلى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثرَ مما يلزمُه مِن الطعنِ عَلى أبي بكر ! إذْ كان يزعُمُ أن عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُنفِذْ أمْرَ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قدْ عَلِمَهُ، وشَهِدَ بِهِ، وأجازَ ما كانَ ظُلمًا عندَه، ولم يُغيِّرْهُ، وزعَمُوا أنَّ أبا بكر لم يكُنْ عَلِمَ بذلك، وإنَّمَا شهِدَ بِهِ عندَهُ الزوجُ، فلَمْ يُجِزْ شهادَتَهُ، وطَعْنُهِمْ على عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذَا أكثَرُ؛ وقَدْ خَلَّفَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ من الوَلَدِ: الحسنَ، والحُسين، وزينبَ، وأمَّ كلثوم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فتزوجَ عبدُالله بنُ جعفر بزينب، وولَدَتْ له أولادًا ، وتزوَّجَ عُمَرُ بأم كلثوم، وولدَتْ له زيْدًا و رُقَيَّة ابنَي عُمَر، فكان يجبُ على عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تسليمَ فَدَكٍ إلى ولَدِهَا، وكانَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحظُّ الوَافر في ذلك، وهُو حَقُّ زوجتِهِ أمِّ كُلثومٍ، ثمَّ لزيدٍ ابنِهِ منها ولَدٌ). **انتهى**.

علاقة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالشيخين الخليفتين الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

كان الشيخان أبو بكر وعُمَر، والصحابةُ كلُّهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والمسلمون أهلُ السنة والجماعة يُحبُّون آلَ بَيتِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحبةً شَرعِيَّة، ويَعرفون لهم حُقُوقَهم، وكان بين الصحابةِ وآلِ البيت أُلْفَةٌ وحَميمِيَّةٌ ومُصَاهَرةٌ، لَمْ يُنكِرها إلا مُكَابِرٌ مُعَانِدٌ.

كان الشيخان الخليفتان الراشدان البارَّان: أبو بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعتنيان بفاطمة وأولادها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غايةَ العناية، وقد طلبت فاطمة من أبي بكر أمرين: ميراثها، وأن يتولى زوجُها صدقاتِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرها أبو بكر بالشرع الوارد، وأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُورَث، وأما الصدقات فإنه يتولاها خليفةُ الرسول، ويعمل فيها كما كان يعمل فيها الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخيراً فعَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لم يَحصُلْ لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما طلَبَتْهُ، وعتبَتْ على أبي بكر ، فهجَرتْهُ حتى ماتَتْ، كما ذكَرَتْ ذلك عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي بهذا أعلم، وحديثُها في «الصحيحين»، لم يُنكر أحَدٌ من الأئمةِ صِحةَ ما ورَدَ فيه، إلا بعضُ المعاصرين الذين طعَنوا في عدد من الجُمَل الواردة فيه، ومنها: هَجْرُ فاطمة أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولم يكن معهم حُجَّة فيما ذهبوا إليه من القدح في الحديث.

وكان عُمر يقدِّم آل البيت في العطاء، وقد أظهر محبتَه لفاطمة، وبيَّن مكانتَها عنده، وأخبرَها بخطأ اجتماعِ نفَرٍ من الرجال عند زوجها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الأيام الأولى من البَيعة، والبَيعةُ قد قامَتْ لأبي بكر، فأمرَها عمرُ بعدم اجتماعهم، وهدَّدَ الرجال إن اجتمعوا أن يُحرِّق عليهم، كلُّ ذلك إتماماً للجماعة ودَفعاً للفُرقة والنزاع، وللسياسةِ الشرعية أحكام.

من محبة عمر لفاطمة زواجه بابنتها أم كلثوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

هذا المبحث ـ علاقة فاطمة بأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ـ من المباحث المهمة التي كثرت فيه الشبهات، وزلَّ فيها كثيرٌ ممن كتَبَ من المثقفين المعاصرين، فانظر الأصل = كتابي عن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، المجلد الثاني: نفقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، ومبحث طلبها الميراث، وفي نهاية المجلد الرابع، وبداية الخامس علاقتها بالشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ـ والله الموفق والهادي، لا إله إلا هو العليم الخبير ـ.



[٢٣] هل لها موقف من بيعة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ؟

لـمْ أقِـفْ علـى شَـيءٍ في مَـوروث أهـل السـنة والجماعـة: حـديثًا، وعقيدةً، وتاريخًا، يتعلق بموقف فاطمة من بيعة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

والمرأةُ في الإسلام لا علاقة لها بالأمور السياسية البتة، فاليقينُ أنها وبقيـة النسـاء ـ ومـنهن أمهـاتُ المـؤمنين أزواجُ النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يتبعن ما اختارَه الرِّجَال مِن أهل الحلِّ والعَقْد .

قـال أبـو المعـالي الجُـويني (ت ٤٧٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلْتَقَـعِ الْبِدَايـَةُ بِمَحالِّ الإجماع في صِفَةِ أهـلِ الاختيـارِ، ثـم ننعَطـفُ على مَواقعِ الاجتهـادِ والظنون.

فمـا نعلمـُه قطعـًا أنَّ النِّسـوةَ لا مَـدخلَ لهـنَّ في تخيـُّرِ الإمـام وعَقْـدِ الإمامَةِ، فإنهُنَّ ما رُوجِعْنَ قطُّ، ولو استُشِيرَ في هذا الأمرِ امْرأةٌ ، لكان أحرى النِّسَاءِ وأجـدرُهُنَّ بهـذا الأمـرِ **فاطمـةَ** عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، ثـم **نِسْوةَ رسُولِ اللَّـهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهاتِ المؤمنين، ونحنُ بابتداءِ الأذهانِ نعلَمُ أنَّهُ ما كان لهُنَّ في هذا المجال مَخاضٌ في مُنقَرَضِ العُصورِ، ومَكَرِّ الدُّهُور).

وقال أيضـًا: (والنسوانُ لازماتٌ خدورَهن، مفوِّضَاتٌ أمورَهن إلـى الرجال القوَّامين عليهن، لا يعتَدْنَ ممارسة الأحوال، ولا يبرزْنَ في مُصَادَمَةِ الخُطُـوبِ بـروزَ الرِّجَال، وهُنَّ قَلِيلاتُ الغَنَاءِ فيما يتعلق بإبرامِ العَزائمِ

والآراء، ولذلك ذهبَ مُعظَمُ العلماءِ إلى أنَّهُنَّ لا يَسْتَقْلِلْنَ بأنْفُسِهِنَّ في التزويج).

قال الباحث: حافظ محمد أنور ـ بعد دراسة طويلة ـ لمسألة المرأة والشورى واختيار الخليفة : (إنَّ المرأةَ لم تشارك في الحياة السياسية، ولم تحضر المجالس الشورية مع الرجال في عهد الرسُولِ صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين المهديين، بل وبعدهم أيضاً فترة طويلة، ولم يكن لها دور في اختيار الخلفاء ومبايعتهم) .

فمن شروط أهل الحَلِّ والعَقْدِ: الذكورية، وليس للنساء مَدخل فيه.

هذا، وإنَّ من العَجَبِ العُجَاب ـ غير المستغرَب ـ من الإمامية أن يدَّعُوا إمامَةَ فاطمة !! (١)

وأعجبُ من ذلك أن يكتُبَ في سيرة فاطمة رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهَا مَن يَنتسب إلى أهلِ السُّنَّة، فتطير الإمامية به فرحاً، ويستدلون بكلامه، وما كتبَ إلا أديبٌ مُنَحازٌ، أو غَيرُ محقِّقٍ، أو صُوفِيٌّ جَاهِلٌ، أو حَاطِبُ لَيلٍ.

---

(١) « فاطمة تجليات النبوة والإمامة» لحسن العالي (ص ٣٢٩)، « أنوار الزهراء» لحسن الأبطحي (ص٤٤)، **أفادتهما** : سهى بنت عبدالعزيز العيسى في كتابها الجيِّد: « المرأة في الفكر الشيعي ـ دراسة عقدية نقدية ـ » (ص٢٦٥).

فمثلاً: الأديب : عباس العقاد، يتحدث ببيان عجيب في مواضع من كتابه، يذهب إلى ما ذهبَتْ إليه الإمامية ، فانظر إليه يقول: (بعضُ الأخبار يفيد ـ إنْ صحَّ وإن لم يصح ـ ومِن هذه الأخبار : خبر الرواة الذين قالوا: إنَّ عليًّا جامَل فاطمة، فلم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاتها.

إنْ صحَّ هذا الخبر أو لم يصح فدلالتُه صحيحة، وهي اعتقاد الناس في ذلك العصر أنَّ القضيةَ قضيةُ الزهراء، وأنَّ الإمامَ يُجامِلُها فلا يُغضِبُها... وأنه أحقُّ بالخلافة، وأنَّ الأَولى أنَّ الخلافة تطلبُه لمعرفتِه بحقِّها....ثم جاء العقَّاد بخيالات وتوهُّمَات ـ عفَى اللَّهُ عنا وعنه ـ .

وفي موضع آخر ذكر عن الفاطميين ـ المنتسبين كذبًا إلى فاطمة ـ : (بأنهم ثَبَتُوا على حقِّهِم في الخلافة، ووَرِثُوا الثباتَ من عليٍّ وفاطِمَة).

قلت: يريد بثبات علي وفاطمة : أحقية عليٍّ بالخلافة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!

ويذهب في موضع آخر إلى أنَّ فاطمة ترى حقَّ عليٍّ في الخلافة، أو أنَّ قرابةَ الرسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحقُّ المسلمين بخلافتِه....

قال: وكان هذا رأي طائفةٍ من الصحابة الصالحين، أدهشَهم أن يجري الأمرُ على غير هذا المجرى !!

ويدَّعِي أن لفاطمة رأيًا معارضًا لخلافة أبي بكر، وأنها لم تغضب إلا لأجلها ، والخلافُ إنما هو على ميراث الخلافة !!

قلت: مَن الإمامي الذي أنبأَكَ بهذا ؟!

ونظر في الكتاب الثاني وهو من تأليف الأديبة د. عائشة بنت الشاطئ، إذْ تذكر أنَّ عليًّا حمَلها فوق دابة، وطافَ بها ليلاً على مجالس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مجلسًا مجلسًا تسألهم تأييد عليٍّ في الخلافة !!

وقالت فاطمة للصحابة بأنَّ اللَّهَ حَسيبُ مَن انتزع الخلافة... !!

وذكَرَتْ د. بنتُ الشاطئ صراخَ فاطمة من أبي بكر وعمر، ومراضاة أبي بكر وعمر لفاطمة، وبيانُها لهما أنها ساخطةٌ عليهما، وستشكوهما لأبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لقيَتْه !!

وهكذا في كتاب محمد حسين هيكل، وعَددٍ من الكُتَّاب المتأخرين في مصر خاصة، يلوكون هذه القضايا دون مستند ، وهي كَذِبٌ فجٌّ صُرَاحٌ ـ واللهُ المستَعانُ على ما يَصفُون ويَفترون ـ .



[٢٤] حزنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على وفاة أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: « لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهْ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ .

أخرجه: البخاري، ومسلم .

حُزْنُها ومُصِيبَتُها على أبيها النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يتصوَّرَها أحَدٌ، وفي كلماتها السابقة حُزنٌ كاتم، مع إيمان ويقين باللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

تضَاعَفَ الحُزنُ علَيها بعدَ وفَاة أبيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبَقِيَتْ حَزِيْنَةً حتَّى تُوفِّيَت بعدَه بستَّةِ أشهُرٍ، وكانَتْ صَابِرَةً مُحْتَسِبَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال محمد بن علي بن الحُسين بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ: « ما رُئِيَتْ فاطمةُ ضَاحِكةً بعْدَ رسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلا أنها قد تـُمُـورِي في طَرَفِ فِيها » . وهذا مُرسَلٌ، محمدٌ ووالدُه لم يُدركا فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عن عبدِالله بن الحارث، قال: مكثَتْ فاطمةُ بعدَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة أشهر، وهي تَذُوب.

قيل: وما ضَحِكَت بعده أبدَاً.

وقيل: وما رُئيَتْ ضاحكةً إلا تبسُّمَا حتى ماتَتْ، وامتَروا بطَرَف فِيْهَا، ويُروَى أنها تبسَّمَتْ قُبَيل وفاتها عندما قِيل لها عن النَّعْشِ الذي يُصنَعُ في الحبَشَة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويقال: إنها لَمْ تَضحَكْ في مُدَّةِ بقَائها بعدَهُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإنها كادَتْ تَذُوبُ مِن حُزنِها عليه، وشَوقِها إليه).

قال القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حالها: ما ضحِكت، وحُقَّ لها ذلك.

وما رُوي، وقِيل مِن نَظمِها أو تمثُّلِها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بأبيات من الشعر بعد وفاة والدِها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ، كلُّهُ كَذِبٌ، لا يصحُّ مِنْهُ شَيءٌ، ولا يَقْربُ مِن الصِّحَّةِ .



[٢٥] وصيتها رضي الله عنها .

ذكر أهلُ التاريخ الأوَّلُون أنها أوصَتْ عَلِيًّا أن يتزوَّج بعدَها ابنةَ أختها زينب: أمامَةَ بنتَ أبي العاص رضي الله عنها .

وأوصت أن تُدفَن ليلاً، قيل: حِرصًا منها على الستر.

ورُوي أنها اغتسَلَتْ، ولَبِسَتْ أكفانها، وأوْصَتْ ألا تُغسَّل. **وهذا باطِلٌ لا يَصِحُّ.**

ورُوي أنها أوصَتْ عليًّا وأسماءَ بنتَ عُمَيس أن يُغسِّلاها. **وهذا ضَعيفٌ لا يَثبُتْ.**

وثمَّةَ وصايا كثيرة، وكلُّ ما قيل فيها، وفي مَظلَمَتِها، كَذِبٌ و زُوْرٌ من افتعَالِ الإماميةِ، ومَنْ تَبِعَهُم مِنْ جَهَلَةِ الصُّوفِيَّةِ، وجَهَلَةِ الأُدَبَاءِ المُعَاصِرِيْن.

وفي الكتاب الأصل تفصيلُ ذلك كلِّه.

[٢٦] وفاتها: متى توفيت، ومن غسلها، وصلى عليها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا و عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟

أخبرها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسارَّته لها بقُرْبِ أَجَلِه، وأنها أول مَن يتبعه من أهله.

مرِضت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فشُغِل بها عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تمريضها، وفي تَسْلِيَتِهَا بعد مُصِيبتها في فقد أبيها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان يلازمها.

توفيت ليلةَ الثلاثاء، (٣/ ٩/ ١١هـ) ، لثَلاثٍ خَلَونَ من شهر رمضان، بعد أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر .

غَسَّلَها عليٌّ، وَصَلَّى عَليها مع جماعة من آلِه، ودفنَها في البقيع ليلاً، ولم يُخبر بذلك أبا بكر والصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وكان عمرُها نحو ثمان وعشرين سنة ونصف السنة تقريباً.

قيل: بأنها أول مَن غُطِّي نعشُها في الإسلام؛ لما رُوي أن أسماء بنت عُمَيس ذكَرَتْ لها ما رأتْهُ في الحبَشَة من سَتْر المرأة بهذا النَّعْشِ، فاستَحْسَنَتْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

[٢٧] قبرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

لا إشكال أنَّ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دُفنت في المقبرة في بقيع الغَرْقَد، ولايصح أنها دُفِنت في بيتها، هذا هو المعتمد عند المؤرِّخين، وقد رَدُّوا على مَن ادَّعى أن قبرَها في بيتها، أو أمامَ مصلَّى الإمامِ في الروضة الشريفة ، وهي

أقوالٌ واهِيةٌ جِدّاً .

وأيضـًا لا يصحُّ أن قبرَها أُخفِي عن الصحابة ــ كما تدعيه الإمامية ــ ، وقد وردَتْ آثارٌ كثيرة ــ على ضَعفِها وانقطاعِها ــ تُثبِتُ أنها في مقبرة البقيع، قريبًا من زاوية دار عُقيل، ومُواجِه دار نُبيه.

وهــذه الــدُّورُ والمــَواضع كلُّــها قــد زالَــتْ، ودخلَــتْ في التوســعة ــ واللَّهُ أعلم ــ .

ولا يكادُ أَحَدٌ الآنَ يَعلَمُ قبـرًا مُعَيَّنـًا مـن القُبـور التي ذُكـرَتْ في عـدد من النصوص ــ ذكرتُها بالتفصيل في كتابي الأصل ــ .

فالقبورُ تتغيَّر معالِمُها، وتندثرُ تمامـًا مع تعاقب القـرون فكيـف بتعاقـب قرون طويلة تصل إلى خمسة عشـر قرنـًا ، وفي التـاريخ مـا يـدُلُّ علـى تعاقـب الدفن في البقيع ــ في نهاية القرن الأول ــ في موضع واحد دون معرفة بالسابق.

ولـم يكـن علـى قبرها ولا قبـرِ أحَـدٍ مـن المسـلمين تَجصـيصٌ، ولا قُبَّـةٌ، ولا بناءٌ ؛ لنهي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، وإنما حدَثَ البنـاءُ علـى القبـور في مكـة والمدينـة، وغيرِهـا، في زمـن العُبيـديين البـاطنيين في القـرن الخـامس الهجري ، ولقي استحسانـًا من الصوفية !!

قال السـمهودي (ت ٩١١ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : (وإنمـا أوجـب عـدمَ العِلْـم بعين قبر فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها من السلف، مـا كـانوا عليـه مـن عـدم البنـاء على القبور وتجصيصها.....).

ومَن دخل البقيع الآن، وسلَّم على الجميع بما في ذلك الصحابة وآل البيت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ؛ كفَاهُ ذلك ـ والحمدُ للَّهِ ـ .

ومن محاسن الدولة السُّعودية السُّنِّيَّة السَّنِيَّة المباركة ـ حفظها الله وحماها، وأبقاها مَصدَرَاً ومَورِدَاً لأهل السُّنَّةِ والجماعة ـ :

أنها هـدَمَتْ القِباب البِدعية المبنية على القبور في مكة والمدينة، ومنها: قُبَّةٌ عظيمةٌ جدَّاً بُنِيَت في البقيع على قبور يُدَّعى أنها لبعض آل البيت، ومنهم: فاطمة !!

وقد هُدِمَت القباب في البقيع مرَّتين ـ وللَّهِ الحمد ـ وعادَتْ المقبرة كما كانت في عَهْدِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، وعَهدِ الخلفاء الراشدين، والقرون الثلاثة المفضَّلة.

فالحمد للَّهِ على التوحيد، والسُّنَّة، والعقل الرشيد، ونسأل اللَّهَ أن يجزي الدولةَ السعودية خيرَاً كثيرَاً على إحسَانِها في هذه الأمور العقدية، وفي رعاية شؤون الحرمين الشريفين رعايةً فائقةَ الجَودة، مُبهِجَةً مُدهِشَةً ـ زادها اللهُ قوة وعزة ونُصرة للتوحيد والسُّنَّة، ورزَقَها خيرَاً على خَيْر ـ .

والحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالمين .

[٢٨] منظومتان لترجمة فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا .

استكتبتُ ــ لكتابي الأصل ــ بعضَ مَن أثقُ بجودَة شعره أو نظمه، مُيسِّرَاً لهم ذلك بمختصر جدَّاً لترجمتها، ولم أتمكن مِن الحصول إلا مِن اثنين:

١ـ من فضيلة الشيخ الأديب **د. جبران بن سلمان بن جابر سحَّاري**[١] فقد طلبتُ منه نظماً في فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وأرسلتُ له مُختَصراً من هذه الترجمة[٢]، فاستجاب لذلك ورحَّبَ ــ أحسنَ اللهُ إليه وجزاهُ خيراً ــ، ثم نظمَها في مِئَةِ بَيْتٍ، وأرسلَها إليَّ[٣]، وهي التالية:

متن الأرجوزة الفاطمية المسماة:

---

(١) عضو هيئة التدريس في قسم الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض.

(٢) يوم الجمعة (٣/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٣) يوم الاثنين (١٣/ ٢/ ١٤٤٠هـ).

تنبيه: للشيخ جبران ـ وفقه الله ـ تعليقات إيضاحية يسيرة على بعض الأبيات، أبقيتها مع ختمها بـ[د. جبران]، وحذفت بعضها لوضوحها ووجودها في الترجمة.

« السنن العاصمة في مناقب فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ »

للشيخ الفقيه الأديب د. جبران بن سلمان بن جابر سحَّاري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناظم

الحمـــد لله الـــذي علَّمنـــا * مـذاهب الأسـلاف إذ فيهـا الغِنـى
فمـــن طـــريقِهم أتانـــا الـــدينُ * مؤصّـــلاً شـــعارُه التبيـــينُ
مـا فيـه مـن ميـلٍ عـن الآثـارِ * ولا تكلـــفٍ لمـــن يمـــاري
وهـــذه الأرجـــوزة المُرتّبـــة * فيمـا لبنـت أحمـدٍ مـن مَرْتبـة
صـــلى عليـــه ربُّنـــا وســـلَّما * وآلـــه وصـــحبه ومَـــن ســـما
تحوي صحيح الفضل أضحت عاصمة * في سيرة « الزهـراء» وهـي « فاطمـة»[١]
بنـتُ النبـيِّ المصـطفى المطهَّـرة * زوجُ ابـنِ عمِّـه المُسـمى «حيـدرة»
أتــت علـى مـنهج أهـل السـنةِ * وحـــبِّهم لـــلآلِ خيـــر عـــترةِ
ســألنيها الفاضــلُ «المــديهشُ» * وهـو اللبيـبُ الفـاحصُ المفـتشُ
عـن هـذه الفضـائل المسـطورة * في الكتـــب النافعـــة المنشـــورة
فلـــم أجـــد بُـــداً مـــن امتثـــالي * ســـؤالَه فهـــو أخـــو أفضـــالِ

---

(١) هنا إشارة لاسم الأرجوزة وهي: « السنن العاصمة في مناقب فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ») أي: العاصمة من الجفاء والغلو بإحقاق الحق، والزهراء لقب اشتهر لها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا
[د. جبران].

اسمها ونسبها وكنيتها ولقبها

«فاطمةٌ» اسمها من الفطْم الجلي * وهو انفصالٌ عن رضاعٍ فاعقلِ
نسبُها إلى الرسول الهاشمي * محمدٍ لنسل عدنانَ نُمي
من ولدِ اْسماعيلَ للخليلِ * يعودُ في التحقيق يا خليلي
كنيتها: «أم أبيها» كم لها * من شرفٍ بهِ يطاول السُّها
وقيل: أم الحسنين أيضًا * أفاده ابن حجرٍ خذ فيضًا
لقبُها: الزهراءُ والبتولُ[(١)] * كم لهجت بذينك الفحولُ
الأول الضياء والإنارة * من البياض فاحفظ العبارة
وأما البتول فمن التبتُّلِ[(٢)] * وذاك الانقطاع لله العلي
وقيل: إن اللقبين انطلقا * من قبل الشيعةِ ثم صُدّقا
من بعض أهل السنةِ الأخيارِ * إذ ليس فيهما من استنكارِ
والحقُّ عندنا هو المعتبرُ * يُقبل ممن قاله فحرَّروا

والدُها ووالدتها

والدها أفضلُ خلقِ الله * محمدٌ هو ابن عبدالله
القرشيُّ الهاشميُّ العربيُّ * سيّدُ نسلِ آدمٍ خيرُ نبي
وأمها: خديجةٌ خيرُ النساء * في هذه الأمةِ ذات الائتسا

---

(١) الأقرب كراهة هذا اللقب «البتول»، وأنه من إطلاق الشيعة، كما قاله ابن العربي.

(٢) لم يثبت شيء في هذا .

وكـــلُّ أولادِ النبـــيِّ منهـــا * ســوى ابنِــه أبْــراهيم فاحفظنهــا
أولُ مَـــن آمـــن ثـــم صـــدَّقَه * وثبتـــتْ، بـــه مضَـــتْ لورَقـــة
أفضـــالُها فاقـــت بهـــا أنامـــا * واللـــهُ قـــد أقرأهـــا الســـلاما

مولدها زمانًا ومكانًا

قـــد وُلـــدت فاطمـــةُ الأبيَّـــة * مـــن قبـــل بعثـــةِ النبـــيْ الســـنيَّة
بخمســـةِ الأعـــوام في المـــرجّحِ * في بيتـــه بمكـــةٍ فصـــحِ

ترتيبها بين أخواتها

ترتيبُهـــا الرابـــع فهـــي الصـــغرى * مـــن البنـــات للنبـــيِّ طُـــرَّاً
مـــن بعـــد زينـــبٍ كـــذا رقيّـــة * وأم كلثـــومٍ حـــوتْ مزيّـــة
قد دخلت في الدين من قبل البلوغ * واتبعـــت والـــدها شـــأن النبـــوغ

نشأتها

ونشـــأت في بيـــت خيـــر الخلـــقِ * وخيـــرِ أمٍّ بالهـــدى والحـــقِّ
ورضـــعت بـــوادرَ العبـــادة * والعلـــمَ والأذكـــارَ والزهـــادة

صفتها وشمائلها

صـــفاتها قـــد أشـــبهت أباهـــا * في المشـــي والســـمت ومـــا قد فاها
بـــه مـــن الكـــلام والهدايـــة * مـــن شـــابه النبـــيَّ حـــازَ الغايـــة
لهـــا مـــن الشـــمائل الأثيـــرة * الشـــرف الأعلـــى وحُســـنَ الســـيرة

ملازمتها لأبيها ودفاعها عنه

كـم لازمـت والـداها النبيَّـا * وعنـه ردّت مارقـًا أذيَّـا
وسـبَّت الفاعـلَ للفجـورِ * إذ دفعـت عنـه سـلا الجـزورِ
وطبّبـت جراحـه وأوقفـت * دمـا يسـيل منـه ثـم سـترت
مقامـه إذ رام الاغتسـالا * في «الفتح»، من برٍّ حوتْ خصالا
وبقيـت كـل حياتهـا معـه * ولحقـت بنصـف عـامٍ مسـرعة

هجرتها

تقـدمت راغبـةً في الهجـرة * وعُمرهـا نحـو ثمـان عشـرة
من بعد هجرة النبي المصطفى * بسـبعة مـن الشـهور فاعرفـا

محبة المسلمين لها

أحبَّهـا أهـلُ الهـدى والملـة * مـن كـلِّ مسـلمٍ كـذا الأجلـة
وحبهـا ديـنٌ وإيمـانٌ غـدا * علـى الجميـع واجبـًا مؤكـدا
وقـد غـلا الشـيعةُ والأراذلُ * في حبهـا وأمـرهمُ لسـافلُ
إذ كـذبوا وزوّروا كـل بِنـا * في وصـفها وهـيَّ عنـهُ في غِنـى

زوجها

وزوجُهـا علـيٌّ ابـنُ عـمٍّ * والـدها صـاحبُ فضـلٍ جـمِّ
رابـع خيـر الخلفـاء الراشـدين * فـدى أباهـا، حبُّـه والله ديـنْ
في السـنة الثالثـة الهجريـة * تزوَّجـا فنعمـتِ الذريَّـة

من علاقتها مع زوجها

فصـبرت وصـابرت وخـدمتْ * وسـبَّحَتْ وكبَّـرَتْ وهلَّلـتْ
وامتثلـت قـول النبـي الخـاتمِ * بـأن ذا خيـرٌ لهـا مـن خـادم

أولادها

وأنجبـت لزوجهـا الأولادا * الحَسَـنَ الـذي بصُـلْحٍ سـادا
ثـم الحسـين بعـده مُحسِّـنُ * وزينـبٌ وأم كلثـوم افطنـوا
فالحسـن الـذي غـدا شـبيها * للمصـطفى محمـدٍ أبيهـا
وعـقَّ عنهمـا النبـيُّ كبشـا * كبشـاً وبالسـعد غـدا أبشَّـا

عقبها

ونسلُها مـن حسـنٍ مع الحسين * وزينـبٍ وصـيتهم في الخـافقين
أولئـك الأشـراف فيمـا اشـتهرا * وسـادةٌ بهـم يقـرُّ الكُبَـرا

علمها

وعلمهـا وفقههـا في السـننِ * سـار جليَّـاً للحصـيف الفطـنِ
قـد حفظـت عـن النبـيِّ الهـادي * مـن الحـديث جملـة الأعـدادِ
لـم يـرو عنـه غيرُهـا مـن ولـدِه * حـديثُها فيـه علـوٌّ مُسـنِده
مسـنَدُها حـوى لهـا ثمانيـة * وأربعـين[1] واضـحاتٍ دانيـة

---

(١) قلت: ثم زادَ واحدَاً، فأصبح مسندها تسعةً وأربعين حديثاً.

لـــم تنقطـــع لغيــــر ذاك البتـــة * روى لهـــا أصـــحابُ كُتْـــبٍ ســـتة
فـــأنسٌ عنهـــا روى كـــذا ابنهـــا * هـــو الحســـين وعلـــيٌّ زوجهـــا
وأم رافـــــعٍ وأم ســـــــلمة * عائشـــةٌ، حـــديثهم مـــا أعظمـــه!
ففـــي الصـــحيحين لهـــا ثلاثـــةُ * والســـننِ الأربـــع قـــل: أربعـــةُ
وعنـــد أحمـــدٍ فـــأربعٌ أتـــت * وأربـــعٌ مـــع الثلاثـــين انجلـــت
في ســـائرِ الكُتْـــبِ وفي علـــم السِّـــيَر * مـــع التـــواريخ حـــديثٌ مســـتَطر
عنهـــا حـــديثان بـــلا إســـنادِ * اســـتُدركا في كتـــبٍ أفـــرادِ
فتمـــت العـــدةُ خمســـين ســـوى * اثنين[1] فاحفظ منه ما عـدلٌ روى

فضائلها وخصائصها

وقـــد حـــوت فضـــائلاً كثيـــرة * مســـطورةً في كتـــبٍ للســـيرة
فإنهـــا قـــد بُشّـــرتْ بالجنـــةِ * ســـيدةُ النســـاءِ تـــاجُ العفـــةِ
صـــابرةٌ ديِّنـــةٌ وخيِّـــرة * صـــيِّنةٌ قانِعَـــةٌ مســـتغفرة

الكذب على فاطمة

وهكـــذا كـــلُّ ذوي فضـــلٍ وجـــب * فلـــيس ينجـــو مـــن مبـــالغٍ كـــذَب
فكـــذبُ الرافضـــة الكثيـــرُ * قـــد عـــمّ آل البيـــت يـــا خبيـــرُ
فـــاخترعوا مـــن الأباطيـــل الهُـــرا * وزوَّروا وأكثـــروا المســـتنكرا
وابتـــدعوا في وصـــفها مناقبـــا * مـــع الغُلـــو؛ كُـــنْ لهـــا مجانبـــا

---

(١) الحاشية السابقة.

طلبها الميراث وعلاقتها بأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما

وطلبت ميراثها من النبي * ولم تكن تعلمُ قبل الطلبِ
أن أباها ليس موروثاً كما * أخبرها الصدّيقُ قولاً مُحكما
فوجدت في نفسها وهجرتْ * حتى وفاتها وهذا قد ثبتْ
وقيل: قد أقنعها الصديقُ * قبل وفاتها وذا خليقُ
من بعده بايعه عليُّ * قدرُهما في أمتي عليُّ

ما نُظم في مدحها من الشعر

في مدحها التشريف للمحابرِ * كما أتى للحافظ «العساكرِ»[1]
كذاك «إقبالٌ» على ما اشتهرا * من نظمه أرجوزةً مفتخرا[2]
كذاك للمعاصرين مسلكُ * في نظم بعض فضلها يُستدركُ

حزنها على وفاة أبيها

وحزنت على وفاة المصطفى * وكربُها قد شاع فيما وصِفا
وقد نعتْ في تلكم المصيبة * خير الأنام إنها لبيبة

وصيّتها

وقيل: قد أوصت بأن تُدفنَ في * ليلٍ لحرصها على السترِ اعرفِ

---

(١) سبق ذكر قصيدة ابن عساكر في كتابي الأصل عن فاطمة.

(٢) سبقت الإشارة إلى قصيدة إقبال في ديوانه المطبوع، في كتابي الأصل عن فاطمة.

وفاتها

وفاتُها بعد أبيها المصطفى * بستة الأشهر فيما عُرفا
سنة إحدى عشرة فلتعلم * في ثالث من رمضانَ الأعظمِ
يوم الثلاثا، زوجُها غسَّلها * صلى عليها والبقيع أدخلا
للدفن ليلاً فيه فالوصية * نافذةٌ من حُرَّةٍ أبيَّة
وعمرها إذ ذاك في العشرين * بعد ثمانٍ من رحى السنينِ

قبرها

وقبرُها وسْط بقيع الغرقدِ * بلا خلافٍ فاستمع واستفدِ

مَن ترجَم لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

ترجمها جمعٌ من الأعلامِ * كالذهبيِّ الحافظ الإمامِ
وثَمَّ مَن أفردها كالحاكمِ * ثم السيوطيُّ بثغرٍ باسمِ
ثم الصلاة والسلام السرمدي * على النبيِّ المصطفى محمدِ
وآله وصحبه ومَن سلك * سبيله ما دار نجمٌ في الفلك[1]



(١) وكتبه: د. جبران سحّاري (١٢/ ٢/ ١٤٤٠هـ).

٣ـ منظومة أخرى، كتبها لي فضيلة الشيخ الفاضل اللغوي: محمود بن محمد بن محمد بن هارون بن الصالح بن أبي بكر الإدريسي الحسَني ــ حفظه اللَّهُ ورعاه ــ .(١)

منظومة في فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عظُم المرامُ فهل يُساعِفُ خاطري * بنظيمِ دُرٍّ من ثناءٍ عاطِرِ
أم هل لشعر أن تُحيطَ بُحورُه * بخصائص الزهراء أخت الطاهر
ومحاسنٍ شاد المنزَّلُ أصلَها * فزَكَتْ وأَغْنَتْ عن سموط جواهر
نُبِّئْتُها فوق الحصى تَعدَادُها * يذر المفوَّه كالعييِّ الحائر
إنَّ المهابةَ ألجمَتْهُ مفحَماً * بالعيِّ عن خوضِ الخضَمِّ الزاخر
ماذا يقول عن البتول أما كفى * شرفاً لها يومُ الكساءِ الساتر
مجدٌ تأثَّل في ذؤابة هاشمٍ * وأتَمَّ أحمد نظمَ شملِ مآثر
هي بضعة المختار سَيِّدةُ النِّسَا * فَرعٌ لدَوح مكارمٍ ومفاخر
وبأنها خيرُ النساء وأُمُّها(٢) * صحَّ الحديثُ عن النبي الحاشر
زهرَا تَفتَّقَ نورُها مُتألِّقاً * من دارة البدر المنير الزاهر

---

(١) امتدادُ النسَبِ من كتابته، وقد أرسلتُ له نبذة مختصرة للترجمة بتاريخ (١٣/ ٢/ ١٤٤٠هـ) راغباً منه نظمها، فوافق، ثم كتب لي هذه المنظومة (٨/ ٧/ ١٤٤٠هـ) في (١١٧ بيتاً) ــ أحسن اللَّهُ إليه، وجزاه خيراً كثيراً ــ .

(٢) جائز فيه الرفع والنصب.

وهي البتولُ علَتْ على كُلِّ النسا * في الفضل والحسب المنيف الباهر
لقبَان من هذا ومن هذا جلا * عنوانُ طهرٍ بواطنٍ وظواهر
إنْ كان أهلُ الرفض مُبتكرَيْهِمَا * فمِنَ البداهة لا صياغةِ ماهر
ولها إذا عُدَّ الفخارُ بسيِّدِيْ * شُبَّانِ دارِ الخلدِ تَاجُ مَفَاخِرِ
وبِذَين كانت تكتَنِي وبِبِكْرِها * وبأمٍّ والدها السراجِ الباهر
بنت الأمين محمد وخديجة * خير النساء وأمِّ نسل الحاشر
أي أمِّ كلثوم وزينبَ قاسمٍ * ورقيةٍ أمِّ الحسين الزاهر
أبنا خديجة حلقة ذهبية * لم يُدْرَ منها أوَّلٌ من آخر
وإذا جَنَحْتَ إلى فضائل أمِّها * أَخَذَتْ بأطراف الفخار السائر
مَن مِثْلُ أمِّ المؤمنين خديجةٍ * نُبْلاً وأخلاقاً وحُسنَ مآثر
فالمجدُ والشرف الرفيع لمن غَدَتْ * لمحمد سكنا وأيّ مناصر
واستبشرت بالوحي أولَ مؤمن * بنبوة الهادي الأمين موازر
جبريلُ أقرأَها السلامَ تحيةً * من ربها مصحوبةً ببشائر
بيتٌ من القصب المجوَّف ما بِه * صخب ولا نصب كهمِّ الناظر
وبمكةٍ من قبل بعثة أحمدٍ * بسنين خمسٍ في عديد مصادر
ميلادُ فاطمة وغيرُ محقَّقٍ * تحديدُ شهر بل أُفَيكة آثر
وبمهبط الأنوار حضنِ المصطفى * ظلَّتْ تُعلَّل بالضياء الباهر
فتألَقَتْ منها مشابهُ أحمدٍ * وشمائلٌ تُزرِي بنفح أزاهر

هـديًا وسـمتًا مشـيةً مـا أخطـأت * مـن مشـية الهـادي نُقَـارةَ نـاقر
كـم هَـشَّ مقبلـةً إليهـا مَرْحَبَـا * بنتـي وناجاهـا بغيـب صـائر
واللهُ أكرمهـا سـنين حياتـه * بجـواره فاسـتاثرت بمـآثر
مـن بـرِّه مـن نصـره بمواقـف * تركـت لهـا حسـن الثنـاء السـائر
فهي التي قد زحزحتْ عنه السلا * وَتَلَـتْ شـتائم للفريـق الكـافر
وهي التي عند اغتسال المصطفى * لـدخول مكـة كَنَّتْـهُ بسـاتر
وغـداة أُحْـدٍ كَـمْ سعَت في نسوة * بالمـا إلـى أُسْـدِ العـراك الـدائر
واذكـر جميـل بلائهـا إذْ أوقفَـتْ * نـزف الـدماء مـن الجبين الطـاهر
وهنـاك ناولهـا أبوهـا سـيفَه * نَقِّـي الـدماءَ عـن الحسـام البـاتر
هـذا اسـم فاطمـة كثيـر تـردد * بحـديث أحمـد لاهتمـام ظـاهر
ولربمـا نُعِتَـتْ ببنـت محمـد * رمـزاً لصـدق عواطـف ومشـاعر
وأتـت مهـاجرةً لبضـعة أشـهر * مـن هجـرة المختـار خيـر مهـاجِرِ
مـع أمِّ كلثـوم وسـودةَ أمِّنـا * وأسـامةٍ وأبيـه حِـبِّ الحاشـر
في آل صـاحبه أبـي بكـر أبـي * غُـرَر السـوابق والثنـاء العـاطر
للهِ درُّ ابـن الربيـع فقـد وفى * لنبينـا عِـدَةَ الكـريم الشـاكر
تسـريح زينـب بِنتِـهِ فتَجَهَّـزَتْ * مـع حَمْوِهَـا عَنَقًـا لـدار الحاشـر
وسـرَتْ مُهـاجِرَةً و يـا قُبحـًا لمـا * فعـل الكفـور مـن الجفـاء السـافر
نخَسَ البعيـرَ بهـا فألقـت حملهـا * ممـا دهاهـا مـن البعيـر النـافر

مَن حام حول حمى النبي فإنه * للهلك ساعٍ والبَوارِ الحاضر
يا آلَ أحمدَ حقُّكم نصًّا أتى * في سورة الشورى فهل مِن ذاكر
عهداً علينا واجبًا إذْ كان من * حب الرسول موثقًا بأواصر
ولحبكم في المسلمين بأسرهم * بادٍ على بادٍ رأيت وحاضر
ومودةُ القربى لديهم طاعة * وعقيدة ودليل يُمْنٍ وافِر
وبِكُتْبِهم مأثورة مسطورة * تُرْوَى وتُدْرَسُ كابراً عن كابر
قد زاغ طائفتان فيه روافض * ونواصب باؤوا بصفقة خاسر
فالناصبيُّ مجاهر بعداوة * والرافضيُّ بعكسه في الظاهر
دَسَّ القوادح في مدائحَ زاهيًا * ومباهيًا بهوَى الغلوِّ السافر
ومتى تخَلَّتْ أمَّةٌ عن سنة * سلكَتْ بُنَيَّات الطريق الجائر
إن العَشاءَ هَوَى بهم في هوَّةٍ * لو يبصرون فلا لعا للعاثر
أيروِّجُونَ ببنت أحمد بدعةً * باءَتْ حُشودُهُم بِتَجْرٍ خَاسِر
علَتِ البَتولُ على المجرَّةِ هل ترى * ما فوقها مِن مُرتَقَى ومَظَاهِر
وغَلت فما ترضى لها زوجًا سوى * بدر تكَامَلَ في سماء مفاخر
من هاشمٍ طرفاه في بحبوبة * حيث المجادةِ والفخارِ الفاخر
ذاك ابن عم نبينا وأخوه ذو * لبَّاه أول مؤمن ومناصر
بادي السيادة والفروسة والهدى * إن الفرات من المحيط الزاخر
رَبِّع به الخلفاء فهُوَ نديدهم * وقرينهم في سؤدد ومآثر

حــبر المنـــزل أي راسٍ راســـخٍ * في العلـم كـان مـن الطـراز النـادر
وقضــيَّةٌ مَّــا لا أبــا حســـنٍ لهــا * مثـل يَصُـكُّ صـدَاه كُـلَّ مكــابر
لـولا اشـتعال النـار فيمـا جاورت * مـا كنـتَ تعـرفُ زاكيـاتِ عـواطر
ويـح الحسـود فكـم لـه مـن نعمـة * كالنشـــر في محســـوده لمــآثر
عـدد الحصـى مشـهورة مشـهودة * طفحَـتْ بمسـندها ألـوفُ مصـادر
مــن كــان مــولًى للرســول فإنــه * مـولَى عليٍّ مـن حـديث الحـاشر
صـهر النبـي وسـيف مولانـا علَـى * أعدائــه ليــث الحـــروب الزائــر
شـهد المشـاهدَ غيرَ غـزوة عسـرةٍ * خلَفَــا علــى آل النبــي الطــاهر
فغـدا كمـا هـارونَ مـن موسـى أخـا * لنبينـــا أمســـى بحــــظ وافـــر
وبتفلـــةٍ ميمونـــةٍ مـــن أحمـــد * في عينــه حــلَّ الشــفا ببواصــر
واختصَّـــهُ ربـــي برايـــة خيـــبر * قُرنَـــتْ بغُـــرٍّ مناقـــب ومــآثر
حـــبُّ الإلـــه عـــلا وحـــبُّ نبيـــه * وبشـــارة أخـــرى بفـــتح ظــاهر
وبمرحـــب ضـاقت معاقـل خيـبر * دوَّى بهـا صـوتُ الهزبـر الكاسـر
هـــذا علـــيٌّ بـــالفوارس نـــازل * ومعجــل ليهــود عقبــى الكــافر
اللهُ أكــبر أيُّ حصــنٍ قــد هــوى * في خيـــبر فَغَـــدَا كـــأمس الـــدابر
بجيـوش أحمـد فتيـةٍ مـن طيبـة * كأســـود بيشـــةَ في قنـــا وبـــواتر
هـذا الـذي اختارتـه بنـت محمـد * زوجـــا بـــذروة ســـؤدد ومـــآثر
رضـي الحبيـب بـه و بـارك داعيـا * لهمـــا دعـــاءً واعـــداً ببشـــائر

فتسلسلت ذريَّةٌ نبويةٌ * علوية منها منائر سائر
سبطا الرسولِ ومحسنٌ مع زينبٍ * وبأم كلثومٍ تمامُ أزاهِرِ
درجوا بلا عقِبٍ جميعاً ما عدا * ريحانتَي خيرِ العباد الحاشر
وكذاك زينبُ أعقبت ذريةً * في باذخِ الشرف الرفيع الظاهر
أبناء عبدالله فلذة جعفر * أي نجله قُطْب السخاء الزاخر
ثم الشريف لآله طرّاً جرى * لقباً تواتر في الزمان الغابر
وبنو عبيد وحدَهم خصُّوا به * ذُريَّةَ السِّبْطَين دون معاشر
من سائر القربى وكم من عثرةٍ * للباطنية لا تقال لعاثر
ولهم أضافوا مع شريفٍ سيِّداً * مقرونة بسماه عند الذاكر
كلٌّ جرى إطلاقه عُرفاً على * آل الحسين وصنوِهِ في الغابر
بنقول أهل العلم جارٍ والقضا * في رسمهم لصكوكه ومحاضر
مَن خَصَّ صنفاً عن سواه بسيِّد * تَركَ الصوابَ إلى طريق جائر
يا ليته إذْ لَجَّ في تفريقه * ردَّ القضية للحديث السائر
بسيادة الحسن الرضى وبِلَمِّه * لشتات أمَّةِ جدِّه المتناثر
لا لا تُفضِّلْ بين آل محمد * لمناطق أو لاختلاف عشائر
فبوصفهم قُربى النبي وآله * أحكامُهُمْ لا باصطلاح معاشر
فهنالك الشرف المضيء بأصله * تقوى الإله ولا صعودَ لفاجر
وبَني البتول مَيَّزوا بعمامة * أو شطفة خضراء دون مشاطِرِ

فبتلك أو بعصائب خُضْر على * تلك العمائم زِيُّهم في الآخر
ولَنُورُ أحمَدَ ساطعاً بجباههم * أجلى لباغي قرائن وأمائر
والهاشميُّ وِلايةً في عرفهم * وَسْمُ المُوَالي والحليفِ الناصر
رجعى لفاطمة وهات ما روى * عنها الأئمة من حديث الحاشر
فهي التي قد لازمته حياتَها * ليس البعيد كالقريب الحاضر
أحرى حَرِيٍّ أن تحدث ما تشا * ببواطن من أمره وظواهر
فروى ابنُها أعني الحسينَ وبنتُه * وأبوه عنها في جموع أكابر
وكذا الجماعةُ قد رَوَوا في كُتْبِهم * عنها الحديث كابراً عن كابر
هذا ومسندها تناهى سبعة * في سبعة أخرى بعدٍّ حاصر
قد خرَّج الشيخان منه ثلاثة * وتفرق الباقي خلال مصادر
يا ليتها عاشت طويلاً نرتوي * مما تُروِّي عن أبيها الحاشر
رضي الإلهُ عليكم مِن صَفْوة * خلقت شموس هداية للسائر
فلأنتمُ آل النبي أحقُّ مَن * راجت بهم دُرَرُ الثناء السائر
ولأنتم أولى الورى بفواضل * وفضائل ومكارم ومآثر
صلى الإله على أبيك نبيِّهِ * وعلى الصحاب مُهَاجرٍ ومُنَاصِر
والزوجِ ما سار الحجيج ملبِّياً * ومهلِّلاً بطوائر ومواخر
وكذاك ما صلى عليه مسلِّماً * عَبدٌ فآب بها بخير وافر

* * *

فهرس الموضوعات


فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
سيرتها فضائلها مسندها رضي الله عنها
إبراهيم بن عبد الله المديهش

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم

سيرتها - فضائلها - مسندها - رضي الله عنها

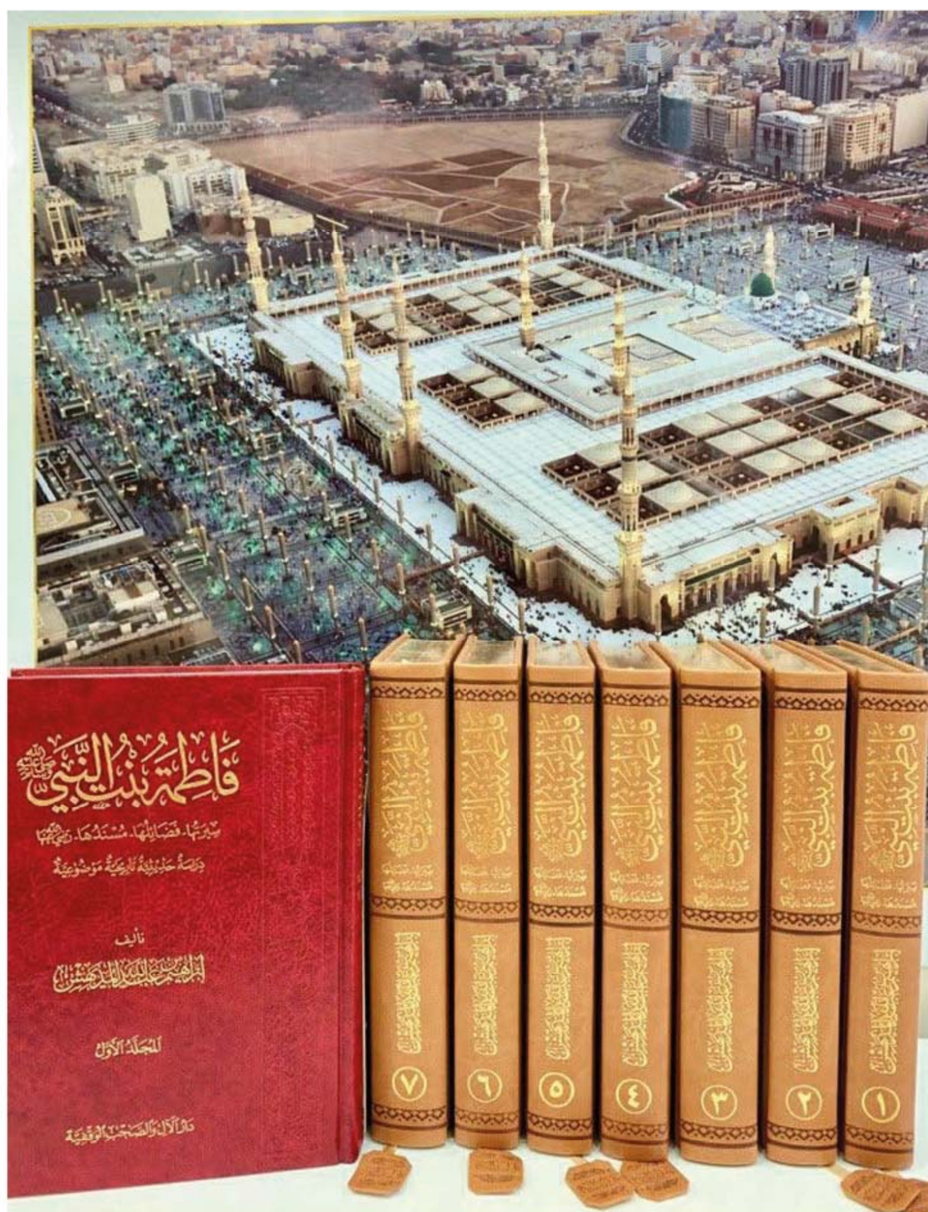
دراسة حديثية تاريخية موضوعية

تأليف

إبراهيم بن عبد الله المديهش

المجلد السابع

دار الآل والصحب الوقفية



فاطمة بنت النبي ﷺ
سيرتها. فضائلها. مسندها. رضي الله عنها
دراسة حديثية تاريخية موضوعية
تأليف
إبراهيم بن عبد الله المديهش
المجلد الأول
دار الآل والصحب الوقفية

فاطمة بنت النبي ﷺ

سيرتها - فضائلها - مسندها - رضي الله عنها

دراسة حديثية تاريخية موضوعية

تأليف

إبراهيم بن عبد الله المديهش

المجلد السابع

دار الآل والصحب الوقفية